مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام

وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي

إعداد

د. جمال محمد محمد الهنيدي

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الهنيدي، جمال محمد محمد

مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي/ د. جمال محمد محمد الهنيدي- ط١ - القاهرة دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.

١٤٤ص، ٢٠سم.

تدمك ٨ ٢٦٤ ٣١٦ ٩٧٧

١ - الإسلام وجودة الإنتاج

أ- العنوان ٢١٤,٦٥٨٥٧٦

تاريخ الإصدار: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

حقوق الطبع: محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٥١٧٧

الترقيم الدولي: ISBN: 977-316-264-8

الكود: ٣/٢٤٨



دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨

ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤

E-mail: darannshr@link.net

مبادئ الجودة في الإسلام

وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير
لكل من

الأستاذ الدكتور : عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

استاذ أصول التربية بكلية التربية جامعة المنصورة

الأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم عطوة مجاهد

استاذ أصول التربية بكلية التربية جامعة المنصورة
ومدير وحدة ضمان الجودة وتقييم الأداء بالكلية

على تحكيمهما العلمي للدراسة وإجازتها للنشر

تقديم

لا تكاد تخلو جلسة تربوية – تجمع التربويين – من الحديث عن أزمة التعليم المصري، وفشله في تحقيق طموحات الشعب من هذا التعليم.

ورغم اختلاف وجهات النظر في سبب هذه الأزمة تاريخها والعوامل المساعدة عليها ، إلا إن هناك ما يشبه الإجماع على أن التعليم المصري بصورته الحالية لم يحقق للإنسان المصري توقعاته من هذا التعليم.

ولقد أحسنت «دار النشر للجامعات» صنعاً أن عزمت على إصدار سلسلة من الكتابات الصغيرة التي تتناول قضية محددة، وتحاول أن تلقي عليها الضوء بحيث تخدم تلك القضية في إثارة المياه التربوية الراكدة، وتقدم ما يمكن أن يسهم في إعادة التفكير في الواقع التربوي المتأزم، وكيفية الخروج منه. وقد رأت الدار أن تكون تلك الكتابات جامعة بين الرصانة العلمية، واليسر في توصيل الآراء لأكبر عدد ممكن من مثقفي الأمة وقرائها.

كذلك حرصت الدار أن تأتي تلك السلسلة بأقلام أساتذة التربية أنفسهم، فهم أدرى الناس بشعاب مكة، على أن يحمل كل كتاب من السلسلة رسالة تربوية محددة المعالم، وليس مجرد عمل أكاديمي بحت.

ولقد سعدت بفكرة هذه السلسلة التربوية الجديدة، التي تصدرها دار نشر تبحث عن رسالة علمية تربوية تقدمها لمصر وللعالم العربي والإسلامي

ورحبت أن أقدم لها هذا الكتاب الأول بتلك المقدمة المتواضعة مهيبًا بكل الزملاء المحبين لمصر ولعالمنا العربي والإسلامي، الراغبين في تحقيق النهضة والتقدم والازدهار لنا وللعالم من حولنا، أن يكتبوا في تلك السلسلة وأن يرفدوها باستمرار بما لديهم من أفكار ومقترحات، حتى تقوم تلك السلسلة بدورها في إيجاد وعي تربوي مغاير، يسهم في خروجنا من هذا المأزق الحضاري الذي أوقعتنا فيه تربية تفرق ولا توحد، توهن ولا تقوي تفسد ولا تصلح، تزدري الماضي وتتجاهل الحاضر، ولا تسهم في صناعة المستقبل، ولا ترجع منها إلا بخفي حنين.

وأنا واثق أن بيننا الكثير من الشرفاء، والكثير من المحبين لمصر وللعالم العربي والإسلامي، والذين سوف يحرصون على أن يظل هذا اللواء مرفوعاً، يمد الجسد التربوي بالدماء الحارة المتجددة إلى أن يعود لمصر وجهها المشرق الوضاء، ويعود للعالم العربي والإسلامي وزنه ودوره الحضاري العالمي المنشود.

ويسعدني أن أقدم الكتاب الثامن من تلك السلسلة «نحو وعي تربوي مغاير» بعنوان: مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي ذلك لأن الحديث عن الجودة الشاملة في التعليم قد أصبح حديث الساعة. وقد وقر في الأذهان أنه حديث غربي النشأة، غربي الإجراءات وليس لنا فيه إلا مجرد الاقتباس والأخذ والتقليد.

ولكن الدراسة الحالية رغم صغر حجمها تحاول أن ترد هذا الحديث إلى أصوله الإسلامية من القرآن والسنة وتوضح كيف أن تلك المبادئ التي تقوم عليها الجودة الشاملة إنما هي مبادئ إسلامية حث عليها القرآن

وصدقت عليها السنة، وأكثر من ذلك فإن تلك المبادئ قد وجدت تطبيقها بالفعل في التعليم الإسلامي عبر عصور الازدهار الإسلامي عبر عصور الازدهار الإسلامي متمثلة في جودة فلسفة التربية الإسلامية، وجودة المخرج التعليمي: الطلاب وجودة بعض المدخلات: المعلمين، والمناهج وطرق التدريس، والمبنى المدرسي ولو أنصف الباحث لأضاف على ذلك جودة التمويل، وجودة العلاقة بين المؤسسات التعليمية و المجتمع، وجودة المناخ التعليمي . ويكفي أن يستدعى القارئ ما حققه هذا التعليم الإسلامي من حضارة إسلامية سابقة مازالت تدرس حتى الآن في شتى جامعات العالم المعاصر وكيف أن تلك الحضارة قد أعطت البشرية كلها في شتى مجالات العلوم، والفنون، والآداب طوال عصور طويلة.

إن قراءة تلك الدراسة لتساعد القارئ على الثقة بنفسه وتراثه وأمته وقدرته على العطاء والإبداع الحضاري، فإذا كان سلف تلك الأمة قد حققوا تلك الجودة المتميزة في تعليمهم المتميز فإن الخلق قادرون كذلك على تحقيق تلك الجودة بروحها الإسلامي؛ المبدع. والدراسة في أحسن حالاتها مجرد حافز للقارئين والباحثين لمزيد من الدراسة والبحث في هذا المجال الهام: مجال الجودة الشاملة وتطبيقاتها التربوية في التعليم الإسلامي.

ويحمد لصاحب الدراسة إيمانه القوي بأن الإقلاع الحضاري والتربوي لن يكون بالتحليق في أجواء الآخرين والتخلي عن عطائنا التربوي والحضاري عبر عصور ازدهارنا الإسلامي بل إن تحقيق هذا الإقلاع الحضاري والتربوي لن يكون إلا بالجمع بين الثقافتين : ثقافتنا العربية والإسلامية، والثقافة الإنسانية المعاصرة وأخذ أروع وأصلح ما

فيهما لبناء نهضتنا العربية والإسلامية المنشودة.

كما يحمد للباحث عودته إلى كثير من المراجع خاصة التراثية وكأنه يقدم تلك المراجع التراثية بالذات إلى القارئين والباحثين لمزيد من الألفة والتعريف بتلك الكتابات التراثية التربوية حتى يغريهم بالعودة إلى تلك المراجع والمصادر.

وفقنا الله جميعا لخدمة الحق والحقيقة، وجعلنا من رواد الحق والباحثين عنه والناشرين له في الآفاق، وإلى لقاءات علمية متجددة من خلال كتابات تلك السلسلة .

د. عبد الرحمن النقيب
الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة
يناير سنة ٢٠٠٨ م

المبحث الأول

- مقدمة
- مشكلة الدراسة
- أهمية الدراسة
- أهداف الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- منهج الدراسة
- الدراسات السابقة

مقدمة

يظل العلم من العوامل التي تدفع الأمم إلى الرقى والتقدم ، بل إنه من الركائز التي ترتكز عليها البلدان في سعيها لمواكبة الدول المتحضرة ، ولذا نجد غالبية الدول تلجأ إلى التعليم كمفتاح أساسي للتنمية بعدما رأت أن دولا صغيرة – منها سنغافورة على سبيل المثال لا الحصر – زاد دخل الفرد فيها بطريقة واضحة نتيجة لأخذها بنظم تعليمية متطورة تتسم بالجودة والكفاءة إذ إن "تحقيق الأهداف في مستوياتها الدنيا لم تعد الغاية التي تقف عندها جهود الأفراد والمؤسسات ، وإنما أصبح الوصول إلى درجة عالية مقبولة من إتقان العمل وارتفاع مستوى الأداء إلى أعلى ما يمكن الطموح إليه هو الغاية المنشودة والسقف الذي يحاول الجميع الوصول إليه ، والأمل الذي يطمحون في تحقيقه " [1].

ومن هنا تنادت الدعوات في مختلف الدول لإصلاح نظم التعليم والحفاظ على مستوى معين من الجودة فيه. وبالفعل بدأ الاهتمام بجودة التعليم الذي انتقلت إليه آلياتها ومفاهيمها من المجال الصناعي إلى المجال التربوي بغية تحقيق أفضل النتائج وفقاً للأهداف التربوية المعدة والمحددة

---

(١) رشدي أحمد طعيمة وآخرون : **"الجودة والتميز بين الإدارة والمنهج"** ، دراسة في **الأدبيات"** منشورة ضمن الجودة الشاملة في التعليم ، تأليف رشدي طعيمة وآخرون ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الأردن ، عمان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م ، ص٥١ .

سلفا ، وقد بدأت المؤسسات التربوية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا في الربع الأخير من القرن الماضي سباقاً محموماً باتجاه تحقيق الجودة في النظم التعليمية ،كما بادرت العديد من المؤسسات لإنشاء مراكز ومؤسسات ودوائر لإدارة الجودة الشاملة فيها (١) .

ففي إحدى الدراسات أوصت الباحثة "Sugata Mitra" بأهمية جودة المنتج التعليمي والخدمة المقدمة للطلبة ، إضافة إلى التعاون وتقليل التكاليف (٢) .

وانتقلت تلك المفاهيم التي تدعو إلى الجودة الشاملة إلى بلداننا الإسلامية دون تمحيص في خلفياتها الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والسياسية ، والتي تختلف بلا شك عن خلفياتنا في الدول الإسلامية ، مما حدا بأحد الباحثين إلى القول: إنه في ظل المناخ الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي الغربي يمكن أن يجد مفهوم الجودة الشاملة الأرض الخصبة لكي يُؤتى ثماره ، ثم تساءل قائلا : هل إذا نقل هذا المفهوم إلى مجتمعات أخرى لا تسودها العدل والمساواة والحرية والشورى . . . إلخ – يقصد بلداننا – ولم تصل بأفرادها إلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي يحتضن هذا المفهوم ويفعله على أرض الواقع ، هل تستطيع تلك

---

(١) محمد عبد الفتاح شاهين ، إسماعيل شندى : **"جودة التعليم من منظور إسلامي"** ، دراسة علمية أعدت لمؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني الذي عقده في برنامج التربية ودائرة ضبط النوعية في جامعة القدس المفتوحة في مدينة رام الله في الفترة من ٣ – ٥/ ٧/ ٢٠٠٤ ، ص ١ .

(2) Sugata Mitra : **Messuges and Lessons Learned** , See WWW.Unesco.Org /Iiep/Virtual university/Home.Php,P.17.

المجتمعات بالفعل أن تتبنى هذا المفهوم وأن تنقلـه على أرض الواقع ؟ ، أم أن تلك المجتمعات عليها أن تنتظر حتى تمر بكل تلك الثورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي مر بها المجتمع الغربي حتى تـصبح قادرة بالفعل على تبنى هذا المفهوم وتفعيلـه ؟

وقد وصل إلى القول: "بأننا لا يمكن أن نتبنى مفهوم الجودة الـشاملة بالمفهوم الغربي ، وإلا علينا أن نمر بكل المراحل التي مر بها الفكـر الغـربي قبل أن نقوم بتبنيه" [(١)] ولكن يمكن أن نستعين بالخطوط الأساسـية لــهذا المفهوم ، مع الانفتاح على معتقداتنا وثقافتنا لتأصيل هذا المفهـوم ، ولتتبـع أثـره في الـنظم التعليميـة الإسـلامية زمـن القـوة والازدهـار لا في زمـن الانحدار والانحسار .

ومن هنا نرى أنه من الضروري أن نلقى الـضوء عـلى مفهـوم الجـودة الشاملة في الإسلام وتطبيقه في النظم التعليمية الإسـلامية أيـام ازدهارهـا وقوتها .

مشكلة الدراسة

نتيجة لما يمـر بـه عالمنـا الإسـلامي مـن ضـعف في الـنظم التعليميـة المعاصرة ، وتردى أحوالـه ، بل وانتكاساته فيما يخص الأهـداف والمنـاهج وطرق التدريس وغيرها ، إذ أصبحت النظم التعليمية لا تلبى الحد الأدنى من الجودة رغـم أن الفكـر الإسـلامي غنـي بالأسـس والمبـادئ والـنماذج

(١) عبد الرحمن النقيب : " **مفهوم الجـودة الـشاملة الأصـول الإسـلامية والغربيـة** " ، منشورة ضمن الجودة الشاملة في التعليم ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

والمواقف التربوية التي تدعو إلى الجودة والإتقان ، ولذا نجد أنفسنا مدفوعين إلى البحث عن مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وأهم تطبيقاتها في التعليم الإسلامي ومن هنا فإن التساؤل الرئيسي هو:

ما مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام ؟ وما أهم تطبيقاتها في التعليم الإسلامي؟

وللإجابة عن سؤال الدراسة الرئيسي ينبغي الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية :

١) ما مفهوم الجودة الشاملة في الفكر الإسلامي؟وما أهم مبادئه؟

٢) ما معايير جودة الأهداف التربوية في الفكر الإسلامي ؟

٣) ما معايير جودة التلاميذ في الفكر الإسلامي ؟

٤) ما معايير جودة المعلمين في الفكر الإسلامي ؟

٥) ما معايير جودة المناهج وطرق التدريس في الفكر الإسلامي ؟

٦) ما معايير جودة الخريجين في الفكر الإسلامي ؟

أهمية الدراسة :

تبرز أهمية الدراسة فيما يلي :

١ - العصر الذي نعيشه يكاد يطلق عليه عصر الجودة الشاملة ، فهو مليء بمفهوم الجودة في معظم مؤسساته بصفة عامة والمؤسسات التربوية المعاصرة بصفة خاصة ، هذا رغم افتقار فكرنا التربوي الإسلامي المعاصر إلى دراسات علمية جادة ومتعمقة في الجودة الشاملة من منظور إسلامي ،

ومن هنا نرى أهمية إجراء مثل هذه الدراسة .

٢ – قصور بعض الأنظمة التعليمية المعاصرة في تحقيق الجودة المطلوبة التي أمرنا بها الإسلام .

٣ – إيجاد النموذج الجيد للمعلم والتلميذ على السواء .

٤ – العمل على تحسين نظمنا التربوية المعاصرة من خلال الأخذ بمفهوم الجودة الشاملة.

٥ – تغير العالم من حولنا يفرض على المدرسة أن تؤهل المتعلمين لمواجهة هذا التغير أو مسايرته "على أقل تقدير" .

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

١ - إبراز مكانة الجودة الشاملة في المفهوم الإسلامي .

٢ - توضيح الأصول الإسلامية للجودة الشاملة كما وردت في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين .

٣ – التوصل إلى بعض التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في تحسين تعليمنا المعاصر.

مصطلحات الدراسة :

الجودة لغة:

الجودة في اللغة من فعل جاد جَوَدَةَ ، وجوَّده : صار جَيِّداً ، يقال جاد المتاع وجاد العمل فهو جيد ، وجمعه جياد وجيائد ، وجاد الرجل أتى

بالجيد من قول أو عمل ، فهو مجواد على صيغة المبالغة ، ويقال : أجاد الشيء أي صَيَّره جيِّداً ، وتجود الشيء : أي تخير وطلب أن يكون جيداً [١] والجيد نقيض الرديء[٢].

اصطلاحاً:

بالرغم من أنه لا يوجد مفهوم واضح للجودة ، وأنه يحمل معاني مختلفة ومتعددة يتوقف الأخذ بأي منها على الاستخدام والسياق الذي طبقت فيه ، وأن مفهوم الجودة متعدد بحيث لا يمكن حصره في دائرة ضيقة ، وأنه مفهوم يختلف باختلاف الزمان إلا إننا يمكن أن نتناول بعض هذه المعاني .

الجودة : هي مجموعة من المفاهيم والإستراتيجيات والأدوات والمعتقدات والممارسات التي تهدف إلى تحسين جودة المنتجات والخدمات وتقليل الخسائر وخفض التكاليف [٣] ، ويراها آخرون أنها : التحسن المستمر في الأداء وذلك لتطويره ، مع مراعاة خفض التكلفة وتحسين

---

(١) مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** ، دار إحياء التراث العربى بالتعاون مع المكتبة العلمية بطهران ، القاهرة ، د . ت ، مادة جاد ، ج١ ، ص ١٤٦ .

(٢) صبرية مسلم سليم اليحيوى : **تطبيق إدارة الجودة الشاملة لتطوير التعليم العام للبنات في المملكة العربية السعودية** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية بالمدينة المنورة ، قسم تخطيط وإدارة تعليمية ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م ، ص ٢٥ .

(٣) أحمد إبراهيم أحمد : **الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢٧ نقلاً عن:

- Navaratnam K. K. & O'connor . R : **Quality Assurance in Vocational Education Meeting the Needs of The Mineties vocational Aspect of Education**.1993,p. 45.

الإنتاجية [1].

الجودة الشاملة في التعليم

نستطيع أيضاً أن نلحظ أشكالاً متعددة وغموضاً – أحيانا – في مفهوم الجودة الشاملة في التعليم إذ يراها حسان محمد حسان أنها "مطابقة مخرجات النظام التعليمي مع المعايير والمواصفات المحددة مسبقاً [2]، بينما يراها آخر بأنها "مجموعة من الخصائص والسمات التي تعبر بدقة وشمولية عن جوهرية التربية وحالتها في كل أبعادها المدخلات والعمليات والمخرجات" [3].

ويذهب رشدي طعيمة إلى أنها "مجموعة من الخصائص أو السمات التي تعبر بدقة وشمولية عن جوهر التربية وحالتها بها في ذلك كل أبعادها، مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية راجعة، وكذلك التفاعلات المتواصلة التي تؤدى إلى تحقيق الأهداف المنشودة والمناسبة للجميع" [4].

ويراها آخرون بأنها : تشير إلى قدرة المؤسسة التعليمية على تحقيق

(١) محمود عصام الميداني : **مهارات الإدارة المدرسية والقيادة** "مجلة التربية" الدوحة، قطر، العدد (١٠٤)، السنة (٢٢)، ص ٨٢ .

(٢) حسان محمد حسان : **رؤية إنسانية لمفهوم ضبط جودة التعليم**، "دراسات تربوية"، ج ٦٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤٧ .

(٣) محمود عباس عابدين : **الجودة واقتصادياتها في التربية**، دراسة نقدية، دراسات تربوية، ج ٤٤، ١٤٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٨ .

(٤) رشدي طعيمة : **الأسس والمفهومات**، منشورة ضمن كتاب الجودة الشاملة في التعليم، مرجع سابق، ص ٢١ .

احتياجات المستفيدين من المؤسسة التعليمية " المجتمع " ورضاه التام عن المنتج "الخريجين" ، وبمعنى آخر فالجودة في حقل التعليم تعنى مدى تحقيق أهداف البرامج التعليمية في الخريجين بما يحقق رضا المجتمع بوصفه المستفيد الأول من وجود المؤسسات التعليمية [1]

ويراها الباحث الحالي بأنها : "تحسين العمل في النظام التربوي بجميع مكوناته : المدخلات والعمليات والمخرجات" .

منهج الدراسة :

يستخدم الباحث في دراسته منهج تحليل المحتوى الكيفي لما ورد في بعض آيات القرآن الكريم ، وبعض أحاديث رسول الله ﷺ ، وكذلك أقوال الصحابة واجتهادات علماء التربية المسلمين ، وما ورد في كتب التراث من آثار وتحليلها لاستخلاص مبادئ الجودة الشاملة ومعرفة مدى تطبيقها في مؤسسات التعليم الإسلامي .

* * *

(١) قسم الإدارة والتخطيط والدراسات المقارنة : **الإدارة التعليمية والمدرسية أصولها وتطبيقاتها** ، كلية التربية، جامعة الأزهر ، ٢٠٠٢م ، ص ٤٦ .

الدراسات السابقة:

أولاً- الدراسات العربية:

دراسة أحمد سيد خليل وإبراهيم عباس الزهيرى[(١)]

بعنوان: " إدارة الجودة الشاملة في التعليم - خبرات أجنبية وإمكانية الاستفادة منها في مصر".

هدف الباحثان إلى توجيه الأنظار نحو الاهتمام العالمي والمحلي بتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، وكذلك في بعض الدول المتقدمة التي أخذت بمفهوم الجودة الشاملة، مع التعرض لمدى إمكانية الاستفادة منها في تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية مستخدمين المنهج المقارن، وقد توصلا إلى اختلاف نماذج تطبيقات إدارة الجودة الشاملة بما يتمشى مع الاحتياجات الفعلية، كما توصلا إلى وضع نموذج لاستخدام إدارة الجودة الشاملة في تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية

وفي نهاية البحث أوصيا بتطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم واستخدام مفاهيم الجودة الشاملة في تحسين العملية الإدارية والتعليمية.

---

(١) أحمد سيد خليل، إبراهيم عباس الزهيرى: **إدارة الجودة الشاملة في التعليم خبرات أجنبية وإمكانية الاستفادة منها في مصر**، المؤتمر السنوى التاسع، الإدارة التعليمية في الوطن العربي في عصر المعلومات، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، القاهرة، ٢-٤ ذو القعدة ١٤٢١هـ/ ٢٧-٢٩، يناير ٢٠٠١م.

دراسة عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب (1)

بعنوان: " مفهوم الجودة الشاملة – الأصول الإسلامية والغربية "

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الجودة الشاملة في كل من الفكر الإسلامي والغربي وفيه بدأ بتوضيح خطورة استخدام مفهوم الجودة الشاملة بدلالاته الغربية وبعيداً عن أصوله الإسلامية ، ثم تناول المدلولات الإسلامية لمفهوم الجودة الشاملة في التعليم ، وتناول فيها كثيراً من المفاهيم الإسلامية التي لها علاقة بالجودة الشاملة كمفهوم الإحسان ، والإصلاح ، والإتقان ، والشورى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والإخلاص ، والعمل ، والحكمة ، والوقت ، والقدوة ، والتعاون ، والشعور بالمسؤولية وغير ذلك من مفاهيم .

ثم تناول مسيرة الجودة الشاملة في التربية لدى المسلمين والعالم الغربي، فتناول جودة الأهداف التربوية عند المسلمين مقارنة بغيرهم من الغربيين ، وجودة النظرة إلى طبيعة العلم والمعرفة عند المسلمين ، وفرض طلب العلم عند المسلمين ، إضافة إلى جودة النظام التعليمي الإسلامي بذيوعه ونشره ومجانيته ، كما تناول جودة التعليم باهتمام العلماء بحاجات الأمة ، وجودة التعليم بتعدد مؤسساته وكثرتها وسهولة الانتفاع بها ، و تناول المشاركة المجتمعية كأحد مظاهر جودة التعليم الإسلامي ، وختم دراسته بجودة المبنى التعليمي والمناهج التعليمية وشمولها ، والدراسة تقع في ثلاثين

(1) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : "**مفهوم الجودة الشاملة – الأصول الإسلامية والغربية** "، مرجع سابق ، ص ص ١٨٣ – ٢١٢ .

صفحة من الحجم المتوسط .

دراسة محمد عبد الفتاح شاهين ، و إسماعيل شندى [1]

بعنوان: " جودة التعليم من منظور إسلامي "

هـدفت الدراسـة إلى استـنباط المعـايير التربويـة النابعـة مـن الفكـر الإسلامي والتي تؤكد على تجويـد التعلـيم وإتقانـه ، وذلـك بالاستناد إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقـوال الـصحابة واجتهـادات علماء التربيـة المـسلمين حتـى القـرن الثـامن الـهجري ، وقـد أوضـحت الدراسة النتائج الآتية :

١ – ذهب الإسـلام إلى مـا هـو أبعـد مـن مفهـوم الجـودة إلى تحقيـق الإتقان، وتحقيق ذلك مرهون بأمانة العمل والإخلاص فيه والتأكيـد عـلى المسئولية الفردية وضرورة توافر المعرفة والخبرة .

٢ – تركزت معايير جودة الأهداف في واقعيتها وشمولـهـا وتوازنهـا وتأكيـدها عـلى اسـتمرارية التعلـيم وإثـارة التفكـير العلمـي والبحـث والاستقصاء ، مع الحرص على ضرورة مراعاة الدافع والنظرة المستقبلية .

٣ – أوضحت الدراسة أن معايير جودة المحتوى التعليمي تركزت في شـمول المحتـوى وتوازنـه وارتباطـه بالأهـداف ومراعاتـه لقـدرات واستعدادات المتعلمين وربط المحتوى ببيئة المتعلم ، مـع مراعـاة المحتـوى

---

(١) محمد عبد الفتاح شاهين ، إسماعيل شندى : **جودة التعلـيم مـن منظـور إسـلامي** ، مرجع سابق ، انظر :

U/homepage / Arabic / qulity Department / qulity confernce pepars / session 2 / Mohammad - html

للمستجدات والمتغيرات والتطورات التي تحدث في المجتمع .

٤ – أوضحت الدراسة أن جودة التعليم ترتبط بمراعاة خصائص المعلم ومؤهلاته ومستوى عمله ، بالإضافة إلى اعتبار التدريس أمانة مع الحرص على تنويع مصادر التعليم وطرق التدريس ، ومراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وربط التعليم ببيئة المتعلم .

٥ – أكدت على ضرورة تعدد وسائل التقويم وشمول أدوات التقويم لمجالات التعلم مع التأكيد على استمرارية التقويم .

ثانياً- الدراسات الأجنبية :

دراسة براري آر سادلر(١)

بعنوان:

"An Examination Of Total Quality Management as Perceived by: Selcted Alabama Principals "

هدفت الدراسة إلى التعرف على وجهة نظر عينة عشوائية من مديرى المدارس بلغت (٦) مديرين من مدارس ألاباما بالولايات المتحدة الأمريكية تجاه إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها في مدارسهم ، وقد استخدم الباحث استبانة أعدها بنفسه وسار فيها على خطى إدوارد ديمنج حتى أنه وضع بها أربعة عشر سؤالا يجيب عليها المديرون وفقا لمقياس ليكرت الخماسى " غالبا ، دائما ، أحيانا ، نادرا ، أبدا " علاوة على إجراء المقابلة مع المديرين والملاحظة الشخصية ، وقد توصلت الدراسة إلى الآتى :

(1) Barry R. Sadler :**An Examination Of Total Quality Management as Perceived by Selcted Alabama Principals,** Ed.D.Dissertation,The university Of Alabama,Tuscaloosa,1996.

١ - تدريب المديرين على الجودة الشاملة كان مفيدا وإيجابيا رغم قِصَرِه إذ اقتصر على يومين لموظفى كل مدرسة من المدارس الست التى يرأسها هؤلاء المديرون .

٢- يرى المديرون أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة ساعد على تحسين مستوى مدارسهم .

٣- يرى المديرون أنهم بحاجة إلى تدريب أكثر على مبادىء الجودة الشاملة خاصة في بعض المجالات كتحليل المعلومات وصياغة الأهداف الإجرائية ....إلخ.

٤- يرى بعض المديرين أن مدارسهم تواجه بعض المشكلات في تطبيق مبدأ خدمة المستفيدين وكذلك مبدأ استخدام الأساليب الأحصائية في التقويم، ولذلك وجد في أربع مدارس من الست أن المعلمين يتبعون الطرق القديمة في تقويم التلاميذ .

دراسة لانكارد . بيتينا (١)

بعنوان :

Total Quality Management Application In Vocational Education

أكدت الدراسة في البداية على أن الجودة الشاملة كمفهوم قدم لتأسيس مجموعة من المعايير التى تتضمن التحسين عن طريق التفتيش المستمر على

(1) Lankard,Bettina.A : **Total Quality Management Application In Vocational Education** , ERIC ,Clearinghouse On adelt Career And Vocational Education ,Columbus OH., see : Http : ||w w w . : Total Quality Management Application In Vocational Education _ ERIC Digest.htm

المنتج بدلا من التفتيش النهائى فقط، كما تناولت الدراسة الآراء النظرية لثلاثة من العلماء المتخصصين في الجودة الشاملة وهم :

" W.Edwards Deming , Josebh M . Juran And Philip B. Crosby "

وأظهرت الدراسة أربعة أعمدة أساسية تدعم عمليات الجودة الشاملة في أى منظمة وهى :

١ – تقديم مفهوم الجودة مدعوما من قبل الإدارة .

٢ – أن تكون إدارة الجودة على مستوى عالٍ أو محترفة للجودة

٣– مشاركة الطلبة وإعطائهم التدريب الشامل عن الجودة .

٤ – الدعم لمجهودات الطلبة وإنجازاتهم .

وقد وضعت الدراسة خمسة مراحل كنموذج لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدرسة المهنية والتقنية وهى :

١ – الالتزام والتحرى والتقويم والتبني للحصول على إدارة الجودة الشاملة.

٢ – التطوير التنظيمى يعد مفتاح عمليات الإدارة للجودة الشاملة .

٣– تحليل الزبائن سواء كانوا منتجات أو خدمات .

٤ – التوجيه والسيطرة والتحكم في العمليات .

٥ – العمل على التحسين المستمر للعملية التعليمية.

دراسة " مارمار موخوبادياي "[1]

بعنوان: " Total Quality Management In Education "

أوضحت الدراسة أن مفهوم الجودة الشاملة أصبح مكونا متأصلا في العملية التعليمية ، كما تناولت المفاهيم المختلفة للجودة الشاملة في التعليم من وجهتي النظر الهندية والغربية ، و تحدثت عن توجيه الطالب إلى إدارة الجودة الشاملة ، وعن تقييم المؤسسات التعليمية ، وأهم أدوات التقييم المختلفة القابلة للتطبيق ، كما تناولت دور البيانات وأنظمة المعلومات واتخاذ القرارات في تحسين الجودة باستمرار في المؤسسة التعليمية .

وفي النهاية اقترح المؤلف نموذجا كاملا سماه باسمه يتناول تقييم الجودة الشاملة من ناحية الكم والكيف ، واختتم دراسته بتبني خطة للجودة الشاملة في المدارس الهندية.

دراسة " رون فيتز جيرالد . دى . "[2]

***بعنوان:* "Total Quality Management In Education"**

أوضحت الدراسة إمكانية استخدام إدارة الجودة الشاملة في مساعدة المدرسة أو الكلية في تقديم خدمة أفضل إلى زبائنها الأساسيين من طلاب

---

(1) Marmar Mukhopadhyay : **Total Quality Management In Education,** National Institute Of Education planning and Administration, New Delhi,Reviewed by Dr. Ramesh C . Sharma Indira Gandhi National Open university .India, "2001' , See ; http:|\\book. Google.com.\ book s ?id=crh It10znuc&pgA17.

(2) Ron Fitzgerald,D (ED) **: Total Quality Management In Education,** "2005",see; Http : '||w w w . : Snarttaching. Org\ Topics\17 T. Q. M html

وأرباب أعمال ، ثم تناولت العناصر الضرورية لإحداث الجودة الشاملة في التعليم وهي :

١ – الوعي والالتزام لدى كل شخص بقيمته في تدعيم جهود إدارة الجودة الشاملة " T. Q. M ".

٢ – أن تحل مشاكل واقعية بدلا من استظهار مادة البحث .

٣ – استخدام مداخل تخطيط النظم على أن يكون هناك مستويات أعلى من التخطيط في أنحاء النظام كافة للتحسن المستمر في المدارس والكليات ، وبالطبع فإن التحسين في التعليم يحدث عادة إذا كان هناك تخطيط داخلي يرتبه .

٤ – الدعم عنصر أساسي في نجاح أو فشل إدارة الجودة الشاملة ، ولذا يجب أن يدعم رؤساء الأقسام والمديرون والمشرفون كل من يستطيع أن يساهم في عملية التحسين .

٥ – تطبق كل مدرسة أو كلية الأهداف الموضوعة سلفا .

٦ – التأكيد على تعليم وتطبيق الجودة .

٧ – الأخذ بالتقويم الموضوعي .

٨ – تطوير المهارات لدى طالب الجودة الشاملة بشكل محدد ليكون قادراً على فهم واستعمال " T. Q. M ".

٩ – العمل على وجود بيئة تعلم مساعدة .

١٠ – تعديل الخطة لاختيار أولويات التحسين بعناية إذا ما اقتضت الضرورة ذلك .

دراسة " زيراتي رازا . "[1]

بعنوان :

Developing Aquality Criteria For Applications In The Higher Education Sector In Turkey

تعد الدراسة محاولة لاقتراح قائمة ببعض معايير الجودة لمؤسسات التعليم العالي في تركيا، وكان ذلك نتيجة الشعور بنقص كفاءة الخريجين كمًا وكيفاً، ومن ثم كان التفكير في طريقة لإعدادهم بطريقة مغايرة تتضمن حصولهم على مؤهلات مقبولة ومعارف ومهارات تتوافق مع خطط التنمية العالمية وتعتمد على فلسفة الجودة الشاملة ، وتسخير المصادر الإنسانية والمادية لأجل تحقيق وإنجاز الأهداف بفاعلية.

وقد استعرضت الدراسة بعض الآراء التى تتناول عوامل التغيير من وجهة نظر الجودة الشاملة ومعايير الجودة المعروفة بالأيزو(٩٠٠٠) ، وقد خلصت بعد مراجعة الحالة التعليمية في (٧٢) جامعة في تركيا إلى اتخاذ النظام البريطاني للجودة الشاملة نموذجا لجامعاتها وذلك بدءًا من العام الجامعي ١٩٩٧ -١٩٩٨ م .

وقد توصلت الدراسة إلى بعض الأسس والقواعد التي تساعد على جودة التعليم مثل :

---

(1) Ziarati Raza : **Developing Aquality Criteria For Applications In The Higher Education Sector In Turkey** ,U. F. L. University, see : Http : ||w w w . : dogus edu. Tr. \ dogustru\Journal\Sayi_z\moo_023pdf.

١ - وضوح الأهداف.

٢ - إشراك الطلاب في إعداد البرنامج التعليمي.

٣ - مساعدة الطلاب على استعمال المصادر الأساسية في البحث.

٤ - الاهتمام بالمحتوى والطريقة والسرعة.

٥ - مسئولية الطلاب نحو التعلم.

٦ - التمييز بين نشاطات المعلم والمتعلم مع التخطيط لهذه النشاطات.

٧ - وضع جداول لتقييم الطلاب معرفيا ومهاريا.

٨ - إعطاء الطلاب الخبرة اللازمة للنجاح في العمل.

٩ - جعل إجراءات تقويم الطلاب موضوعية غير متحيزة.

١٠ - وضع سجلات تقديرات للفاحص.

١١ - الدعم والتوجيه ذو المغزى للطلاب.

١٢ - إدخال مهن ذات سمة عالمية.

١٣ - تشجيع الطلاب على استخدام الانترنت، والمكتبات، والنشرات الدولية، وأقراص الذاكرة المدمجة، والكتب وغير ذلك من توصيات.

التعليق على الدراسات السابقة :

وهكذا تلتقي الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في الإشارة إلى الاهتمام بمفهوم الجودة الشاملة ، إلا إن تلك الدراسات لم تتعرض لمفهوم الجودة الشاملة وتطبيقاتها في التعليم الإسلامي بشكل يماثل ما عرضته

الدراسة الحالية ، فقد اهتم بعضها بالحديث عن الجودة الشاملة في التعليم في بعض الدول المتقدمة ومدى الاستفادة منها في التعليم بجمهورية مصر العربية كدراسة أحمد سيد خليل، وإبراهيم عباس الزهيري، ولكنها لم تتناول الرؤى الإسلامية للجودة الشاملة ، واهتمت الأخرى بالحديث عن مفهوم الجودة الشاملة في الفكر الإسلامي كدراسة عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ولكنها لم تتناول تطبيقاتها في التعليم الإسلامي ، كما تناولت معظم الدراسات الأجنبية مفهوم الجودة الشاملة في الفكر المعاصر كدراسة لانكارد" **Lankard,Bettina.A** " التى أكدت على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم المهني والتقني ، ودراسة مارمار " **Marmar Mukhopadhyay** " التى تناولت مفهوم وإدارة الجودة الشاملة في المدارس بخاصة الهندية، ودراسة رون فيتز جرالد "**Ron Fitzgerald,D.** " التى أكدت على إمكانية استخدام مفهوم إدارة الجودة الشاملة في مساعدة المدارس والكليات ، وتناولت دراسة سادلر"**Barry R. Sadler** " بعض أوجه النقد التى وجهت إلى الجودة الشاملة من خلال أراء عينة منتقاة من مديرى المدارس ، كما أكدت دراسة ريزاتي رازا " **Ziarati Raza** "على أهمية تطوير مستوى الجودة الفعلي في قطاع التعليم العالي في تركيا ، وهى في مجملها دراسات مفيدة في منهجيتها وأطرها النظرية ونتائجها للبحث الحالي إلا إنها وبصفة عامة لم تتناول مفهوم الجودة الشاملة مع تطبيقاتها في التعليم الإسلامي وهو ما تحاوله هذه الدراسة.

* * *

المبحث الثاني
" مبادئ الجودة الشاملة في الاسلام "

* تطور مفهوم الجودة الشاملة .
* مبادئ الجودة الشاملة في القرآن الكريم .
* مبادئ الجودة الشاملة في السنة النبوية .
* مبادئ الجودة الشاملة عند المسلمين .

تطور مفهوم الجودة الشاملة

يرى الكثير من الباحثين المتتبعين لحركة تطور مفهوم الجودة الشاملة أنها استخدمت لأول مرة بصورة عامة خلال الحرب العالمية الثانية ، فالصناعة أصبحت أكثر تعقيداً عن ذي قبل ، ونتيجة لالتحاق عدد كبير من العمالة في مجال الصناعة أصبحت الحاجة إلى التحكم في مخرجات الصناعة خاصة في مجال الصناعات الحربية أكثر أهمية لأن إجراءات الرقابة والتفتيش المستخدمة واختبار الأسلحة اقتصر دوره في ذلك الوقت على كشف العيوب بعد انتهاء التصنيع [(١)].

ويرجح البعض ظهور فكرة الجودة الشاملة وإدارتها إلى إدوارد ديمنج **Deming** (١٩٠٠ – ١٩٩٣م) الذي كلف رسمياً من مكتب الإحصاء الرئيس بالولايات المتحدة في نهاية عام ١٩٤٠م لتقديم المساعدة للحكومة اليابانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وأثناء وجوده في اليابان طلب منه تصور للنهوض بالاقتصاد اليابانى المتردي ، فركز اهتمامه على وضع أسس ومبادئ للجودة الشاملة ، وعمل على تطبيقها في قطاع الإنتاج[(٢)].

وقد صاغ ديمنج مجموعة من المبادئ عرفت بالمبادئ الأربعة عشر لكي يتم تطبيقها على القطاع الصناعي ، وبعد أن تأكد نجاحها انتقلت إلى

---

(١) محمد سليمان البندري ، مصطفي أحمد عبد الباقي : **الاتجاهات العالمية لضمان الجودة**، منشورة ضمن ؛ رشدي طعيمة وآخرون: الجودة الشاملة في التعليم ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٢) صلاح الدين المتبولى : **التربية ومشكلات المجتمع** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، "ج.م.ع" ، ٢٠٠٣م ، ص ١٧٣ .

التطبيق في مجالات أخرى غير الصناعة وكان من أهم هذه المجالات المجال التربوي وهذه المبادئ هي :

١ – تحديد الأهداف وثباتها من أجل تحسين الإنتاج وتطويره .

٢ – تبنى فلسفة جديدة للجودة الشاملة تقاوم التحدي وتتحمل المسؤولية .

٣ – الاعتماد على تحسين الأداء وجودة المنتج وليس على التفتيش .

٤ – الاهتمام بجودة المنتج والتأكيد على الكيف دون الكم .

٥ – تحسين وتعديل الإنتاج ونظام الخدمة مع العمل على نقص الكلفة الكلية .

٦ – تدريب الأفراد على وظائف الجودة الشاملة .

٧ – تطوير الأداء إلى الأفضل بالنسبة للقيادات والأفراد .

٨ – تدعيم الثقة لكي يعمل الأفراد بشكل فعال داخل المؤسسة .

٩ – التعرف على معوقات العمل بين الأقسام والعمل على إزالتها .

١٠ – الحد من استخدام الشعارات والنقد المستمر بدون هدف ؛ لأنه يسبب انخفاضاً الإنتاج .

١١ – وضع معايير لاعتماد الإدارة على الأهداف والأرقام وإعداد قيادة جديدة موجودة باستمرار .

١٢ – مسئولية المشرفين يجب أن تهتم بالجودة ومنح العاملين الفرصة للتباهى بعملهم .

١٣ – وضع برامج تربوية نشيطة من أجل التحسن الذاتي .

١٤ – وضع كل فرد في المؤسسة في المكان المناسب وتحويل الأفراد بين الأقسام المختلفة لتحسين العمل[١].

ثم نشر أرموند فيجنبوم ".Armond F" عام ١٩٥٦م مقالته الشهيرة "الرقابة على الجودة الشاملة" والتي ركز فيها على أهمية تحقيق التكامل بين جهود المجموعات المختلفة بالمنظمة والتي تتولى تطوير وتحسين الجودة بما يحقق الرضا الكامل للعملاء وبأفضل المستويات الاقتصادية [٢] ، ثم ظهر مفهوم الجودة الشاملة " كأحد المنهجيات للاقتصاد في دول الغرب خلال عقد الخمسينات وبداية الستينات ، ومنذ ذلك الوقت والاهتمام بالجودة يتنامى حتى أنه في بداية عقد السبعينات من القرن العشرين أصبح المعنى الحقيقي لضمان الجودة معروفاً ودارجاً" [٣].

لقد انتشر مفهوم الجودة في الولايات المتحدة الأمريكية على يد ديمنج" W.Edwards Deming " وتلاميذه من أمثال فيجينبوم "Feigenbum" وكرسبى " Crosby "الذين عادوا جميعًا إلى الولايات المتحدة وكونوا بداية حركة إدارة الجودة الشاملة هناك ، ثم انتقل مفهوم

(١) أحمد إسماعيل حجى : **الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية** ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، ص ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(٢) ممدوح جلال الرخيمى : **دور الثقافة التنظيمية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة على قطاع الصناعات الكيماوية بمحافظة جدة** ، ص ٣٢ نقلاً عن:

- D . A , Garven : Managing quality , New yourk , press , 1988 , P 183 .

(٣) محمد سليمان البندرى ، مصطفى أحمد عبد الباقى : **الاتجاهات العالمية لضمان الجودة** ، مرجع سابق ، ص ص ٣٤ ، ٣٥ .

الجودة الشاملة إلى مجال التعليم في الولايات المتحدة على يد **"Malcolm Baldirg "** الذي شغل منصب وزير التجارة في حكومة ريجان عام ١٩٨١م ، وظل ينادي بتطبيق مفهوم الجودة الشاملة حتى وفاته عام ١٩٨٧م [(١)] ؛ أما المملكة المتحدة فتعد أولى الدول في الغرب التي اهتمت بمسألة الجودة في مفهومها الجديد[(٢)].

وقد بدأ مفهوم الجودة الشاملة في مجال الصناعة وما لبث أن انتقل إلى مجال التعليم في السنوات الأخيرة حتى أنه مع بداية التسعينات في القرن الماضي أصبح الاهتمام بالجودة هو سمة الحوار السائد حول سياسة وإدارة التعليم ، وقد ظهر هذا المفهوم كنتاج لمجموعة من العوامل والمتغيرات العالمية الجديدة التي تشكل في مجملها معالم العصر الذي نعيشه ، ومن أهم هذه العوامل التكنولوجيا المتقدمة والمعلوماتية والتنافسية والشراكة والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيما يعرف بالنظام العالمي الجديد الذي يصف النظام الحالي باللا ثبات والتغير المستمر والتحول الجذري[(٣)]

وإذا كان مفهوم الجودة الشاملة قد بدأ بالصناعة ثم انتقل إلى مجال التعليم إلا إنه يبقى هناك فروق جوهرية بين الصناعة والتعليم إذ إن

---

(١) رشدي أحمد طعيمة وآخرون: **الجودة الشاملة في التعليم** ، مرجع سابق ، ص٢٦ ، ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٧ .

(٣) رشدى أحمد طعيمة : **الجودة والتميز بين الإدارة والمنهج ، "دراسة في الأدبيات"** ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

المدرسة ليست مصنعاً والطالب ليس منتجاً ، وإن إتمام المنتج بنجاح يتطلب من الطالب أن يشارك بفاعلية في إدارة عملية التعلم (١).

وبانتقال مفهوم الجودة الشاملة من الصناعة إلى التعليم ، وجدنا اهتماما كبيراً من جهات عدة فقد أكد "تقرير اللجنة الدولية للتربية في القرن الحادي والعشرين عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م على الاهتمام بجودة التعليم في الدول الأعضاء باليونسكو بدراسة التحديات التي تواجه التعليم ، وإعادة النظر في الأساليب التقليدية في منظومة العملية التعليمية والعمل على تحديثها وتطويرها (٢).

كما انتشر مفهوم الجودة الشاملة في كثير من دولنا العربية، وافتتحت مراكز عدة للعمل على نشر هذا المفهوم – على سبيل المثال لا الحصر – مركز الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز للجودة بالمملكة العربية السعودية، ويعنى بنشر وتطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في المدارس والمرافق الإدارية بإدارات التعليم بالمنطقة الشرقية وفق سياسة وأهداف التعليم في المملكة العربية السعودية لتحقيق مزيد من النقلة النوعية في عمليتي التربية والتعليم (٣) .

---

(١) جيفرى د . دهارتى : **تطوير نظم الجودة في التربية** ، ترجمة عدنان الأحمد وآخرين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ١٠١ .

(٢) جاك ديلور وآخرون : **التعليم ذلك الكنز المفقود** ، تقرير اللجنة الدولية للتربية للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة جابر عبد الحميد جابر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص ٣٦ .

(3) see: http : // www. Edu G5. hasaedu. Gov. sa / abut_us . htmp

كما حرصت سلطنة عمان على مواكبة الاتجاهات العالمية الحديثة في مناشط الحياة كافة ؛ لذا فقد عملت الحكومة على تأسيس نظام لضمان الجودة يتولى تنظيمه وإدارته مجلس الاعتماد ، وسعت كليات التربية التابعة لوزارة التعليم العالي إلى تبنى نظام ضمان الجودة واتخاذه كمنهج لتطوير العمل وكوسيلة لإعداد المعلم المناسب لاحتياجات سوق العمل(١) .

وفي مصر نجد جهودًا كبيرة بذلت في سبيل وضع خطة لبرامج الإصلاح الشامل للتعليم في مصر حيث أجريت مناقشات مكثفة ومتعمقة شارك فيها الخبراء المتخصصون في الشئون التعليمية والتربوية وأساتذة الجامعات واضطلع فيها مجلسا الشعب والشورى بنصيب وافر ، وكانت الحصيلة إعداد تقرير أولى بعنوان "نظرة إلى المستقبل" يؤكد على أن التعليم قضية أمن قومى لمصر وليس خدمة مقدمة للشعب ، بل هو استثمار ، كما تؤكد على تكافؤ الفرص التعليمية وديمقراطية صنع السياسة التعليمية مع التركيز على عدم تحميل الأسرة المصرية أعباء إضافية .

وفي نطاق التجديد في تنظيم التعليم تعددت الجهود التي بذلت في سبيل تطوير وتجديد تنظيم التعليم ومن أمثلتها : تطبيق نظام الفصلين الدراسيين في جميع المراحل ، وتطوير امتحانات الثانوية العامة ، ومدارس الثانوى الفني من خلال اتفاقية مبارك – كول(٢) .

(١) محمد سليمان البنداري ، مصطفى أحمد عبد الباقى : **ضمان الجودة والاعتماد ، التجربة العمانية في التعليم العالي** منشورة ضمن، رشدى طعيمة وآخرون: الجودة الشاملة في التعليم ، مرجع سابق ، ص٢٩٣ .

(٢) أحمد عابد الطنطاوى ، هدى سعد السيد: **التربية المقارنة والإدارة التعليمية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م ، ص٢٨٩:٢٨٢ .

وفي نطاق التجديد والتحسين في المناهج أخذت بمبدأ تقليل الكم في الكتب الدراسية ، وأخذت بنظام المسابقة في تأليف الكتب والعمل على توفير المكافأة المجزية للمؤلفين ، كما أخذت بمبدأ الاختيار في المناهج فأصبحت الدراسة في التعليم العام تشتمل على مواد إجبارية ومواد اختيارية ، كما أدخلت مواد جديدة في مناهج التعليم .

وفي نطاق إعداد المعلم وتدريبه وَحَدت مصادر إعداده بإلغاء دور المعلمين والمعلمات تمهيدًا لإعداد المعلم من خلال التعليم الجامعي ، كما اهتمت بإعداد معلمات رياض الأطفال ، ومعلمي التعليم الصناعي ، كما زادت أعداد المدرسين المبعوثين للخارج والداخل(١) .

بل إن دليل الجودة المصري الذي أعدته اللجنة القومية والذي يشمل توصيف كامل للخطوات التنفيذية كافة والإجراءات المطلوب تحقيقها لحصول المؤسسات التعليمية على الاعتماد المؤسسي أو اعتماد البرامج الأكاديمية بالإضافة إلى الخطوات التنفيذية التي اتخذتها وزارة التعليم العالي واللجنة القومية لإنشاء نظام متكامل لضمان جودة الخدمات التعليمية التي تقدمها المؤسسات التعليمية في مصر(٢) ليعد إحدى دلالات ومؤشرات الأخذ بنظام الجودة بمصر .

وفي الآونة المعاصرة نستطيع أن نؤكد أن كثيراً من الدول تدعو إلى أن

(١) المرجع السابق ،ص ص٢٨٩ : ٣٠٠ .

(٢) محسن المهدى السعيد : **ضمان الجودة والاعتماد على التجربة المصرية في التعليم العالي**، منشورة ضمن رشدى طعيمة وآخرين : الجودة الشاملة في التعليم ، مرجع سابق ، ص٢٧٨ .

تواكب مدارسنا حركات التجديد ، وأن تترجم شعارات التميز والجودة إلى أساليب عمل حتى تلحق بركب التقدم وتجد لـه على ساحته موقعاً وعلى خريطته مساحة [١].

ولذلك كثيراً ما نسمع عن تطورات مذهلة في مجال التعليم بهدف الجودة في التعليم فقد تطور التعليم عن بعد لينشأ جامعات افتراضية تهدف إلى إحلال الأدوات التكنولوجية مثل الإنترنت والبريد الإلكتروني وحجرات الدراسة والأسطوانات المدمجة محل قاعات الدراسة والسبورات" [٢] ، وعلى الرغم من أن الهدف من إنشائها كان تجويد التعليم إلا إنها خضعت للشركات التجارية ، وأصبح التعليم المدرسي سلعة يتم تسويقها من أجل الربح [٣] لا من أجل الجودة .

ورغم أن التكنولوجيا الحديثة تتحسن وتزيد من التكلفة إلا إن الأداء الجيد يبرر المصروفات ، وربما تكون في بعض الأحيان أقل تكلفة مع جودتها ، والأفضل على أى حال أن ينخفض السعر وترتفع الجودة [٤] وهو

---

(١) رشدى أحمد طعيمة : **الجودة والتميز بين الإدارة والمنهج، دراسة في الأدبيات** ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

(2) Tod Newcombe/Features Editor : **Virtual Universities Revolutionizing Education or just Dgital Diploma Mills**, see : www.gov.tech.not/magazine/gt/1999/aug/p.2.

(3) Cheryl f. : **Puplic Research Universities Active Participants in "Virtual Universities "as Information Technology Affects Nearly Every Area of Campus** see : httl : " www.nasulgc.org/vir_lib.com p1.

(4) Resnick david : **Introduction, Community, College life and Civic Engagement Social Capital, Public Goods and Higher Education Conclusion** see : www.informatik.uni.trier. .de/~ley/db/imdices/a-tree/r/resnick david.html.

ما يسعى إليه التربويون المعاصرون؛ لكنهم للأسف يتجاهلون تأصيل الجودة من ثقافتنا وتراثنا .

وإذا كنا قد تناولنا في عرضنا السابق التطور التاريخى لمفهوم الجودة الشاملة كما يراه الكثير؛ بل غالبية التربويين المعاصرين إلا إننا نعتبر أن هذا التطور هو مجافٍ للحقيقة؛ لأنه لا يرجعه إلى أصوله الإسلامية سواء في مجال الصناعة أو التعليم ، ولعل في استعراضنا لمفهوم الجودة الشاملة في الإسلام في السطور القادمة بإذن الله ما يؤكد على أن مفهوم الجودة الشاملة مفهوم إسلامي له أصوله وجذوره في مجال التعليم الإسلامي ومجال الصناعة عند المسلمين ، وليس صحيحا إنه وليد الفكر الغربي المعاصر وهو ما سيتضح عند تناولنا له في السطور القادمة .

مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام

سنتعرض بإذن الله في السطور القادمة إلى مبادئ الجودة الشاملة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة وعند المسلمين الأوائل حتى نجلي هذا الاتجاه في تربيتنا الإسلامية .

مبادئ الجودة الشاملة في القرآن الكريم

نقول على سبيل التقديم إن الإسلام لا يعارض الدافع المادي للعمل مثله مثل غيره ، غير أنه امتاز على غيره في أنه جعل الاحتراف شعيرة وعبادة مما شكل حافزا للمسلمين للاشتغال بالمهن المختلفة ، ولذلك كان المسلم – طوال فترات الازدهار – عاملاً باستمرار لا يبارح العمل إلا لتفريغ شحنة التعب ثم يعاود العمل المتقن من جديد ويتأكد هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾ [الشرح] أي إذا فرغت من الشعائر

التعبدية فانصب إلى نوع آخر من العبادة وهو العمل .

وربما يقول قائل إن إرادة العمل شيء فطري في نفسية الإنسان بحكم حاجته إلى الاكتساب ومن ثم إشباع رغباته وحاجاته ، فنقول: نعم؛ ونحن معه في صحة هذا ، غير أننا نضيف إليه أن الإسلام قد أتى إلى هذه الإرادة فشحذها وعبأها ودفعها لتحقيق أعظم ما عندها ، وذلك حينما غرس في نفس المؤمن أن الكسب الطيب جزء لا يتجزأ من إيمانه ، وأن عليه أن يسعى ويكد في سبيل ذلك ، وعلى قدر عمله وجودته واتساع دائرة نشاطه يكون نفعه وجزاؤه [1] ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النحل] .

وقد جعل الإسلام الأجر على قدر العمل فقال تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾ [الأحقاف] ، أي لكل درجات حسب عمله لا يظلمهم وهي دعوة إلى العمل والإنجاز ، ليس الإنجاز المجرد ، ولكنه إنجاز يطلع عليه رب العباد ويجازي به ، إنجاز يؤدي إلى مغفرة الله تعالى ؛ وفي ذلك يقول ﷺ : "من بات كالاً من عمله بات مغفورًا له" [2] ، وفي رواية أخرى: " من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى

---

(١) شوقي عبده الساهي : **المال وطرق استثماره في الإسلام** ، الطبعة الثانية ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ ، ص ٦٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني "أحمد بن علي" (٧٧٣-٨٥٢هـ) : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩ ، ج٤ ، ص٣٠٦ .

مغفورًا لـه" (١).

ويعيب القرآن على تلك المرأة التي كانت تغزل الغزل فإذا أتمته نقضته مرة أخرى ، فيضرب بها مثلا سلبيا بهدف التنفير من فعلها ، وبصفة عامة بهدف التنفير من كل عمل لا يؤدى إلى الإنجاز وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢] ، معنى ذلك أن الإسلام يأبى على الإنسان عدم الإنجاز أو أن يدور في دائرة مفرغة لا يتقدم إلى الأمام سواء على مستوى النظرية أو حتى على مستوى التطبيق .

وحين يدعونا القرآن الكريم إلى العمل والإنجاز فإنه يدعونا أيضاً إلى العمل المتقن المجدد ، حتى أنه يجعل مسألة خلق الموت والحياة إنما جاءت لابتلاء بني أدم أيهم أحسن عملاً وليس أيهم أكثر عملاً وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود:٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف].

معنى ذلك أن العمل في الإسلام لا يتم ببذل الجهد فقط بل لابد أن يكون عملاً متقنًا مجودًا ، وتجويده عملية امتحان من الخالق للإنسان في هذه الحياة ، فالخالق الذي خلق البشر ليعملوا جعل معيار قبولهم لأعمالهم

---

(١) علي بن أبي بكر الهيثمي : **مجمع الزوائد** ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ج٤ ، ص٦٣ . ورواه الطبراني في الأوسط .

هو إحسان العمل مصداقًا لقولـه تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف] والناظر في هذه الآيات ليدرك اهتمام الإسلام بالجودة أو بالعمل الحسن أكثر من تركيزه على الكم .

كما يؤكد الإسلام على أن إحسان العمل يعد مسألة شرعية تفرض على كل فرد مسئولية تحسين أدائه ، ورفع مستواه إلى أقصى درجة يستطيعها مصداقاً لقولـه تعالى﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] ، محاولاً الوصول إلى المستويات القياسية والمعايير والمواصفات التي يستطيع أن يصل إليها الإنسان، وهو بهذا يتخطى ما اتفقت عليه الهيئات المتخصصة من مطابقة لشروط الجودة إلى تحقيق أهداف المؤسسة بأقصى درجة من الكفاءة [١] وذلك عن طريق محاولته المتكررة وإعداده للإتيان بالعمل على وجه محكم وبدون قصور فيه .

ولِمَ لا والله سبحانه وتعالى تتجلى صور إتقان صنعته في كل شيء في هذا الوجود ، قال تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل]. إنها إشارة إلى صنع الله وجودته في الكون لنقتدي -نحن العباد- بالخالق البارئ سبحانه وتعالى في صفاته ، وليعمل الإنسان إلى أن يكون ربانياً في قوله وعمله .

والمتمعن في كتاب الله تعالى يلحظ بجلاء كيف أن الله ﷻ قد خفف عن رسوله والمؤمنين أعباء قيام الليل لئلا يرهق العبد ليلاً فيؤثر على

(١) رشدي طعيمة وآخرون : **الجودة الشاملة في التعليم** ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص ١٥ .

عملـه وأدائه سلباً نهاراً ، فهو مطلوب منه جودة العمل طالما يعيش في هذا الكون وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزّمل:٢٠] ولذلك يجازى اللـه سبحانه وتعالى الإنسان على أحسن ما عمل وفي ذلـك يقول تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور:٣٨]

"والإسلام عندما يكلف أتباعه بالإتقان في كل عمـل يقومـون بـه ، يجعـل حدود هذا التكليف هو القدرة على العمل والاستطاعة" (١) ، وفي ذلـك يقـول تعـــالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦]. وقولـه تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

وإذا كان الإسلام يأمرنا بالعمل والإنجاز والإتقان قـدر الطاقـة فـإن هناك كثـيراً مـن المفـاهيم الإسـلامية ذات العلاقـة بمفهـوم الجـودة مثـل الإحـسان، والعمـل الـصالح، والأمـر بـالمعروف، والنهـى عـن المنكـر، والشورى وغير ذلك من مفاهيم سنتعرض فقط لثلاثة منهـا في عجالـة (*) لتكون مؤشراً فقط لكثير مـن المفـاهيم الإسـلامية الأخـرى ذات العلاقـة

---

(١) عبد الرحمن النقيب : **مفهوم الجودة الشاملة الأصول الإسـلامية والغربيـة** ، مرجـع سابق ، ص ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(*) لمزيد من الاطلاع على هذه المفاهيم راجـع عبـد الـرحمن النقيـب : **مفهـوم الجـودة الشاملة الأصول الإسلامية والغربية** ، مرجع سابق.

بمفهوم الجودة. ثم نتناول مؤشرات الجودة في بعض القصص القرآنية لتكون نموذجًا للكثير من القصص القرآنية التي تدعم وتقوى مفهوم الجودة .

مفهوم الإحسان

مفهوم الإحسان في الإسلام مفهوم واسع يتضمن الإحسان في كل قول أو عمل يقوم به المسلم ، والإتيان به على أحسن وجه ممكن [1] عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] ، ويجازي الله المحسنين في عملهم بالجزاء الأوفى وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الصافات] ، بل يجعل جزاء المحسن الحسنة وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة].

والإحسان صفة من صفات المتقين ، فلا يكون الرجل تقيا إلا بالإحسان بدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران] وقد أحسن الله تعالى كل شيء وأحكمه وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧] فإذا كان الله سبحانه وتعالى خالقنا يحسن كل شيء ألا نتشبه به سبحانه فنحسن أعمالنا ؟

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

العمل الصالح:

"العمل الصالح هو العمل المراعى من الخلل وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل"[1].

ويقترب العمل الصالح من العمل المجدد، ذلك العمل الذي يدعو إليه الإسلام؛ ولذا جاء لفظ الإيمان مقرونًا بكلمة العمل الصالح في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البيّنة]، بل وسيكتب لهم الله سبحانه وتعالى وده وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم] وسيكون مآلهم إلى الجنة بإذن ربهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف].

الشورى:

نعني بالشورى: اجتماع القوم على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده بخصوص هذا الأمر ليستخرج من هذا التشاور أجود الآراء وأفضلها وأحسنها، والشورى سمة من سمات الفرد المسلم والجماعة المسلمة، سواء تعلق الأمر بنظام الحكم والإدارة أم بالحياة العامة،

---

(١) محمد عبد الرءوف المناوي (٩٥٢-١٠٣١م): التعاريف، تحقيق محمد رضوان الراية دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ، ج١، ص٥٢٧.

وحتى في الأمور الجزئية الشخصية المتعلقة بالعلاقات بين الزوجين بعد الانفصال ، إذ يوجب الله عليهما التشاور في شأن فطام الطفل الرضيع [1]، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٣].

وقد شدد القرآن الكريم على أهمية التشاور بين المسلمين فقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]. ويكفي لأهمية الشورى في حياة المسلمين أن سميت إحدى السور في القرآن الكريم باسم "الشورى" وقول أبي هريرة ﷺ: " ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ " [2].

والملاحظة أنه إذا كانت أهداف الشورى هي استخلاص أجود الآراء، فمعنى ذلك أن هذا المفهوم يلعب دوراً رئيسياً في الجودة ، ولو على المستوى النظري "الفكري" والذي سرعان ما ينتقل إلى مستوى التطبيق .

تعميق مفهوم الجودة من خلال بعض القصص القرآنية :

يحكى لنا القرآن الكريم في إحدى القصص مثالاً تعليمياً ليتعلم منه المسلمون كيف يضبطون الجودة وكيف يتأكدون من حسن عملهم ،

(١) عبد الرحمن النقيب: **مفهوم الجودة الشاملة الأصول الإسلامية والغربية** ، مرجع سابق ، ص١٨٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني: **فتح البارى بشرح صحيح البخاري** ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٣٣٤ .

فأنبأنا عن ذى القرنين وكيف استطاع أن يبنى حائطا ليمنع المغيرين على أهل قريته ، وقد تميز ذى القرنين بالجودة في عملـه ، حتى أنه بعد أن جمع أفراد مجتمعه قطعاً من الحديد وناولوها لـه قال: انفخوا على قطع الحديد بالأكيار ، وكان يأمر بوضع طبقة من القطع والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم والمنافع حتى تحمى ، ثم إذا صار الحديد كالنار أتى بالنحاس المذاب ، أو الرصاص أو بالحديد – بحسب الخلاف في القطر – فيفرغه على تلك الطبقة المنضدة ، وإذا التأم ولصق بعضه ببعض ، استأنف وضع طبقة أخرى إلى أن استوى العمل وصار جبلاً صلداً [1] ، ولم يشأ أن يترك العمل أو يعتمده قبل اختبار جودته ، فقام وآخرون بالصعود إليه ليتأكدوا من صعوبة ذلك فما استطاعوا ، ثم قاموا بثقبه من أسفل للتأكد من قوته وبعد عرضه فما استطاعوا ، وحينئذ أدركوا جودة العمل وصعوبة اختراقه من قبل الأعداء الذين يغيرون على أهل هذه القرية، وهو ما يعد تقويماً نهائياً للمنتج قبل استخدامه وفي ذلك يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف].

---

(١) الإمام القرطبى " أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبى" : **الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم أطفيش ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ، ج١١ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

ومن خلال هذه القصة نريد أن نؤكد أهمية الإلمام بأصول الصنعة "الإطار النظرى" قبل البدء في العمل ليأتي العمل على أجود ما يكون ، بدليل أننا نعلم أن درجة انصهار النحاس (١٠٨٣°م) وأن درجة انصهار الحديد النقى (١٥٣٩°م) أي إن درجة انصهار المعدنين مختلفة تماماً ، وهذا يستلزم بالطبع أن يسبق انصهار الحديد النحاس حتى يكون المعدنان في لحظة واحدة قد وصلا إلى درجة الانصهار الكامل فيذوبان في بعضهما ذوباناً تاماً فيكونان السد ، وقد ذكر الله تعالى في الآية السابقة أن النحاس والحديد وضعا في لحظة واحدة فبعد أن صهر ذو القرنين الحديد وضع النحاس المذاب عليه ، ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن السابقين كانوا على علم ومعرفة بصفات وخصائص المواد ، وهو علم له أصوله وقواعده ويعد مقدمة ضرورية لتحسين العمل ، وبه تمكنوا من تحقيق مستوى عالٍ من الجودة تمثلت في قيام السد بتحقيق الأهداف التي أنشئ من أجلها، وهو منع الأعداء من الإغارة على القوم وذلك من خلال التجربة العملية.

ومن هنا نستطيع القول بأن المعرفة بعلم أصول المهنة أو الصنعة يعد مقدمة ضرورية لتحقيق مستوى الجودة المطلوبة ، بل وضرورة لتحقيق الأهداف [1] .

كما يحكى لنا القرآن قصة أخرى عن نبي من أنبياء الله وهو داود عليه السلام فيبين كيف أنه كان رائدا متقناً في صناعة الدروع ، مقدراً لحجم ما تحتاجه من خامات دون زيادة أو نقصان ، وبالتالي كان يصل بالمنتج إلى أقل

(١) جمال محمد السهنيدى : التربية المهنية والحرفية في الإسلام ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة "ج.م.ع" ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ص ٢٢٣ .

تكلفة مع مراعاة الجودة ، بأمر من ربه وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سبأ] ، والمعنى: أن اعمل يا داود دروعاً كوامل تامات واسعات وقدر ما في الخامات فيها يجمع بين الخفة والحصانة فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة ، إنما نأمرك بالتقدير في نسج حلق الدروع [1] " ليأتي على أفضل حال ولتتحقق جودة المنتج بعد استخدام الكمية المناسبة من الخامة الحديدية .

وربما يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: هل يأمر الإسلام بأن تكون جميع الآلات والقطع والمنتجات على درجة عالية من الجودة والجمال والإحسان، أم أن هناك بعض الأجزاء والآلات لا نهتم فيها بالناحية الجمالية وإنما نؤكد على أن تؤدى وظيفتها فقط دون بذل مجهود ومال في جعلها على مستوى من الدقة والجمال .

وأعتقد أن مستوى الجودة تحدده الأهداف الموضوعة سلفاً من قبل الزبون غالباً — إن صح هذا التعبير – لأن هناك أشياء وأدوات كل ما نريده منها أن تعمل بكفاءة دون أن تكون على مستوى من الجودة أو الجمال العالي، وهناك بعض الأجزاء والقطع والآلات والأجهزة التي نود أن تكون على درجة كبيرة من الجودة ولذلك إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ ﴾ [الأعراف:٢٦] وتفسيرها أن

---

(١) الإمام القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ١٤٠ .

الله تعالى يمتن على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش ، فاللباس ستر العورات ، والرياش والريش ما يتجمل به ظاهراً ، فالأول من الضروريات ، والريش من التكميلات والزيادات [1] ليعلمنا أن مستوى الجودة لا يكون واحداً لكل المنتجات وإنما يخضع ذلك للغرض الذي صنع من أجله الجزء ولطلب العميل .

لقد كانت الدعوة إلى الجودة – بصفة عامة – دعوة تنتشر في ربوع الديار الإسلامية – أيام عصور الازدهار – بدليل قول الوالد لبنيه " اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون " [2] والإحسان بمعنى الإتقان ، وإن كان الإتقان أبعد وأكثر دقة ووضوحاً من مفهوم الجودة ؛ ذلك لأن مفهوم الإتقان يقتضى أداء العمل وفق معايير عالية الدقة والإحكام بحيث يتحقق العمل بنتائجه بأعلى درجة ممكنة ، علاوة على أن الإتقان يتطلب الإلمام بأصول المهنة أو العمل إضافة إلى الإحساس بالمسئولية.

مبادئ الجودة الشاملة في السنة النبوية :

إن الناظر لحياة محمد ﷺ ليستطيع أن يؤكد على دعوته للإتقان والجودة، ومما يؤكد ذلك حديث أبى ذر ﷺ حين قال : قلت يا رسول الله أي

(١) الإمام ابن كثير "الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى" : **تفسير القرآن العظيم** ، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

(٢) الإمام ابن كثير "إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي" : **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ج ١٠ ، ص ٢٠٤ .

الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، قال : قلت أي الرقاب أفضل ؟ قال : أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا ، قال : قلت فإن لم أفعل ؟ قال : تعين صانعاً أو تصنع لأخرق – الذي لا يحسن الصنعة(*) – قلت : يا رسول الله أرأيت أن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : تكف شرك عن الناس ، فإنها صدقة على نفسك " (١) ، على أن يصل إلى مستوى الجودة الذي تطيقه نفسه ، فإن ذلك ليعد من الإيمان ، بل ومن أبواب العبادة والتي منها فعل الخيرات وترك المنكرات ، ولذا بات في الحس الإسلامي أن من الصدقة أن تعين صانعًا أو تصنع لأخرق .

ويؤكد ﷺ في موضع أخر على أهمية إتقان العمل ومدى حب الله له فيقول : "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " ، وفي رواية أخرى: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يحسن عمله "(٢) : ويقول صاحب تأويل مختلف الحديث "يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه إذا احتاج الناس إليه فيه"(٣) .

(*) وقيل الجاهل بصنعته انظر: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم : **لسان العرب**، المطبعة الأميرية ببدلاق ، مصر، ١٣٠٣ ، ج١٠ .

(١) الإمام مسلم "أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى" : **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، ج ١ ، ص ٨٩ ، باب الإيمان .

(٢) على بن أبى بكر الهيثمى: **مجمع الزوائد** ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٩٨ .

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث** ، تحقيق محمد زهري النجار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣ – ١٩٧٢م ، ج١ ، ص٧٨ .

ويعقب على ذلك صاحب فيض القدير فيقول: فعلى الصانع الذي استعمله الله في الصورة والآلات والعدد مثلاً أن يعمل لما علمه عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله" (١).

كما يخبرنا ﷺ بأن الله سبحانه وتعالى كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " (٢) ، مما يؤكد على أن الإتقان فريضة شرعية في كل عمل يعمله الإنسان ولا يقتصر على مواطن بعينها .

ويعلق سعيد إسماعيل على هذا الحديث قائلاً: " فإذا كان الإحسان مطلوباً في الأعمال التي لا تترتب عليها نتائج مؤثرة في الجماعة فأحرى به أن يطلب في الأعمال ذات القيمة الاجتماعية ، فالقتل في الجهاد في سبيل الله والذبح تنتهي آثارهما أو تكاد بإتمام إنجازهما ، ومع هذا لابد من الإحسان فيهما رحمة من ناحية ، وإكساباً للإنسان خلق الإتقان من ناحية أخرى "(٣).

وإذا كان العمل – أي عمل – يتطلب الرقابة الداخلية مثل الضمير والقيم ، والخارجية مثل المشرفين ، فإن الإسلام وإن أكد على الرقابتين الداخلية والخارجية إلا إننا نلاحظ تأكيده الأشد على الرقابة الداخلية ؛

---

(١) عبد الرءوف المناوى : **فيض القدير** ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ، ١٣٥٦هـ ، ج٦ ، ص٤٥٩ .

(٢) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ،مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٥٤٢ ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة .

(٣) سعيد إسماعيل على : **العمل في الفكر التربوي الإسلامي**، دراسات في التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٣٦ .

ذلك لأن الضمير حارس لا يغفل ولا ينام ، أما حارس القانون – الرقابة الخارجية – فحارس كثير الغفلة والنسيان ؛ ولذلك يقول ﷺ : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [1].

ومن أروع ما جاء عن النبي ﷺ في الحث على العمل قوله ﷺ : " إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها " [2] ، فالمسلم مطالب بأن يعمل لذات العمل سواء انتفع بثمراته أحد أم لم ينتفع حرصاً من الإسلام على مواصلة العمل والكدح منذ الوعي الإنساني وحتى ساعة الحساب ، والعمل بهذا المفهوم يتسع لكل نشاط الإنسان ويجعل الحياة كلها عملاً وكدحاً من أجل الإنجاز المثمر ، وتلك هي أحد المعاني والدلالات التي تؤكد مفهوم الجودة الشاملة لدى المسلم"[3] .

وإذا كان الجمال يلعب دوراً في جودة المنتج ، فإننا نجد حرص الإسلام على إكمال الأعمال حتى تبدو جميلة في مظهرها ؛ ذلك لأن الشيء مهما بذل فيه من جهد ولم يتم إكمال هذا الجهد ، فإن ذلك ليعد منقصة كبيرة في العمل ، إذ يتوقف جمال العمل وإتقانه وجودته على الاستمرار في العمل بالجهد والطاقة نفسهما من أولى خطواته إلى نهايته ، فإن حدث أن تساهل العامل في آخر العمل – رغم الجهد الكبير الذي بذله في أول العمل – فبدا عمله غير مجود فإن ذلك منقصة كبيرة تستدعي دعوة آخرين لإتمامه حتى

---

(١) الإمام البخاري : **صحيح البخاري** ، دار ابن كثير/ اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧-١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ٢٧ "كتاب الإيمان "

(٢) الإمام أحمد : مسند **أحمد** ، مؤسسة قرطبة القاهرة ، ١٤١٤هـ ، ج٣ ، ص١٨٣ .

(٣) عبد الرحمن النقيب : **"مفهوم الجودة الشاملة الأصول الإسلامية والغربية "** ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

يبدو جميلاً ؛ ولذلك نرى تشبيه رسول الله ﷺ الرسالة الإسلامية بما فيها من رسالات كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة فأنا اللبنة " [1].

وإذا نظرنا إلى هذا الحديث وقوله ﷺ: كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة "ليتأكد لنا اهتمام السابقين بالجودة والإحسان وإكمال الأعمال أيضاً ، غير أن الرسالات السابقة كانت محدودة الزمان وربما المكان؛ ومن هنا كانت ضرورة أن تأتي الرسالة الإسلامية لتكمل التحسين والتجويد لكل ما تركه السابقون ، بل والعمل على إتمامه وتجويده.

مبادئ الجودة الشاملة عند المسلمين :

عرف المسلمون الأوائل الجودة علماً وعملاً ، فكراً وتطبيقاً بدليل تعريف ابن تيمية الحرانى للمتعلم بأنه "من أتقن صنعة من الصنائع" مما يدل على أن الإنسان لا يكون متعلماً ولا يطلق عليه لفظ متعلم إلا إذا وصل إلى درجة معينة أو مستوى معين من الجودة والإتقان [2] ، وهنا فقط نقول أو نطلق عليه لفظة متعلم ، أما إذا لم يصل إلى مستوى الدقة أو الجودة المطلوبة في التعليم فلا يطلق عليه لفظ متعلم ، وفي ذلك دعوة إلى الجودة والإتقان حتى يصل الفرد إلى درجة متعلم .

---

(١) الإمام البخاري: **صحيح البخاري** مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٣٠٠، باب خاتم النبيين محمد ﷺ .

(٢) جمال محمد الهنيدى : **التربية المهنية والحرفية في الإسلام** ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

وذهب المسلمون إلى أكثر من ذلك حينما قدروا الإنسان على قدر معرفته ودقته وإتقانه في عمله ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب ﷺ: "واعلموا أن الناس أبناء ما يحسنون ، وقدر كل امرئ ما يحسن " ويعلق ابن عبد البر على هذه المقولة قائلاً : إن قول علي ﷺ "قيمة كل امرئ ما يحسن لم يسبقه إليه أحد" [١] ، وفي هذا ما يؤكد على إعجابه بهذه المقولة وإيمانه بها إضافة إلى موضوعيته التي نتبينها من حديثه حين ألحق الكلام بأهله .

ونستطيع أن نتبين الجودة في التعليم منذ مراحله الأولى إذا علمنا أن المعلم كان لا يدرس إلا لعدد محدود من الطلبة والصبيان ، وكان إذ كثر عدد التلاميذ عليه امِرَ المعلم أن يعين مساعدين له يتناسب عددهم مع عدد التلاميذ بحيث يكون لك معلم عدد قليل من الصبيان ، وفي ذلك يقول ابن عبدون: " ويجب علي المؤدب ألا يكثر من الصبيان ويمنع من ذلك فإنه لن يستطيع أن يعلمهم شيئاً على ما ينبغي"[٢].

وكان المسلم المتقن المجود يحتل مكانة عالية في المجتمع المسلم بصرف النظر عن عمره أو حتى نسبه بدليل أنه " كان الفقهاء إذا اختلفوا في حديث أتوا إلى والد عيسى بن يونس فكان يحيلهم إلى ابنه إسرائيل بن يونس بن

---

(١) طاش كبرى زاده: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج١ ، ص ١٤ .

(٢) أحمد شلبي : التربية الإسلامية "نظمها – فلسفتها – تاريخها" ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧م.

أبى إسحاق ويقول لـهم : إنه أتقن لـها منى " [1] وهذا ليؤكـد أن الإتقـان في العلم — وغيره — ليرفع من قدر صاحبه في المجتمع المسلم .

ويعجب عبد الرحمن الشيرازي من دقة صانعين افتخرا على بعضهم — لا بالنسب ولا بالمال بـل بـالجودة والحـذق والإتقـان — قـائلاً: " ولم أر في صناعة العضد أحذق من رجلين رأيتهما بمدينة حلب ، افتخر كل منهما على صاحبه بالحذق ، فأما أحدهما فإنه لبس غلالـة وشَّدَ يده من فوق الغلالـة وانغمس في بركة ، ثم فصد يده في قاع الماء من فوق الغلالـة ، وأما الآخـر فأمسك المبضع بإبهام رجلـه اليسرى ثم فصد يده " [2] وفي هـذا مـا يؤكـد على أن الإتقان كان مفخرة لدى المسلم في المجتمع الإسـلامي دون غـيره ، ولِمَ لا وهو يعرف به ، وبه تكون مكانته .

بل كان المجتمع المسلم يقف ضد الأفراد غير المتقنين ، وكان الإتقـان هو الأساس للالتحاق بالعمل ، فقد انتقل مفهوم الإتقان مـن التعلـيم إلى التطبيق العملي في المجتمع بدليل قول ابن الأخـوة : " ينبغـي ألا يتـصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته وأمانته وجـودة علمـه بتـشريح الأعـضاء والعروق والعضل والشرايين وأحاط بمعرفتها وكيفيتها ، لئلا يقع المبـضع في عروق غير مقصودة أو عضلة شريان فيؤدى إلى زمانـة العـضو وهـلاك

(١) ملكة أبيض : **التربية والثقافة العربية الإسلامية في الـشام والجزيـرة خـلال القـرون الثلاثة الأولى للـهجرة** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠م ، ص٣٥٦.

(٢) عبد الرحمن الشيرازي : **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، تحقيق السيد البـاز العرينـي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

المفصود "[1] ، ولعل هذه القيود هي التي حفزت الوصول بالجودة في العضد إلى أن يفصد الخبير يده بإبهام رجله اليسرى ! لا اليمنى؟!

وشملت الدعوى إلى الإتقان والجودة كل ما في المجتمع المسلم ، حتى على أرباب الحرف على اختلافاتها وفي ذلك يقول عبد الرحمن الشيرازي: جميع أرباب الحرف أمثال السباكين والرخامين والطلائين ، وصناع الأقفال وغيرهم الذين يعقدون اتفاقاً ويتقاضون تأميناً أو عربوناً مقابل القيام بأي جزء من أجزاء العمل ، ينبغي عليهم ألا يتخلوا عن هذا الجزء من العمل لتأدية عمل آخر قبل أن ينجزوا العمل الأول – دعوة للإنجاز – كذلك لابد من مراعاة العناية والمهارة في عملهم ، دعوة لجودة العمل[2].

أما بالنسبة للشرابين – صناع الأشربة وهى الأدوية السائلة على اختلافها – فقد كان لا يعقد للأشربة ويركب المعاجين والجوارشنات – الأدوية الهاضمة للطعام – إلا من اشتهرت معرفته وظهرت خبرته وكثرت تجربته ، وشاهد تجريب العقاقير ومقاديرها من أربابها وأهل الخبرة بها "[3].

ومما يؤكد على مكانة الإتقان في المجتمع المسلم أن جُعل صفة تلحق

---

(١) ابن الأخوة "محمد بن محمد بن أحمد القرشي" : **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، عنى بنقله وتصحيحه روبن ليوى ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

(٢) عبد الرحمن الشيرازي : **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

بصاحبها وفي ذلك يقول ابن أبى أصيبعة عن الحسن بن الهيثم – (١٤١١هـ – ١٠٢٠م) "لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه" ، ويقول عن ابن القفطى "كان عالماً بهذا الشأن – علم الهندسة متقناً له ، متفنناً فيه ، قيماً بغوامضه ومعانيه"[١].

وكان إسحاق بن عمران الملقب باسم ساعة – دخل القيروان في دولة زيادة الله بن الأغلب – " حاذقاً مميزاً بتأليف الأدوية المركبة" [٢] ، كما كان ابن الخياط " معتنيا بصناعة الطب دقيق العلاج" [٣] ، أما إسحاق بن على الرهاوي فقد كان "طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس وله أعمال جيدة في صناعة الطب " [٤].

وكان أي شخص يصل إلى تحقيق مستوى الجودة في التعليم محط أنظار لآخرين بدليل قول الحاكم : "كنت أرى أبا على الحافظ معجباً بأبي يعلى وإتقانه وحفظه " [٥].

ويبين ابن أبى أصيبعة دقة وإتقان أبي عمران موسى بن يونس قائلاً:

---

(١) ابن أبى أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت، ص ٥٥٠ .

(٢) ابن جلجل : **طبقات الأطباء والحكماء** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د . ت ، ص٨٤ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، مرجع سابق ، ص ٤٩٨ .

(٤) ابن أبى أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

(٥) أبو عبد الله شمس الدين الذهبي : **تذكرة الحفاظ** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ج ١٧ ، ص ٤٦٨ .

"علامة زمانه وأوحد أوانه ، وقدوة العلماء ، قد أتقن الحكمة وتميز في سائر العلوم ، وكان عظيماً في العلوم الشرعية والفقهية والطبيعية [١] .

ويصف ابن منده شيخه بالإتقان والجودة قائلاً: كتبت عن ألف شيخ لم أر فيهم أتقن من أبى أحمد العسال" [٢] ، ويقول الأزهري ما رأيت أتقن من اليرقاني" [٣] يريد أبا بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي المتوفى ٤٢٥هـ ، وكان أبو على النيسابوري "أوحد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذاكرة والتصنيف" [٤] ، كما كان أبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة موصوفاً بالإتقان والتثبت" [٥] .

ولا ننسى أن نذكر أن المرأة في عهد رسول الله ﷺ كانت تتعلم الأعمال التي تتناسب مع فطرتها وطبيعتها ، ولم تكن تتوقف عند حدود العمل الضروري دون الإجادة ، حتى أنها كانت إن لم تُجِدْ شيئاً ذكرت ذلك لأنه حينئذ يكون شيئاً غير مألوف في مجتمعها ، وفي ذلك تقول أسماء بنت أبى بكر الصديق زوج الزبير بن العوام "تزوجنى الزبير وماله في الأرض

---

(١) ابن أبى أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، مرجع سابق ، ص ٤١٠ .
(٢) الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى (ت٩٤٥هـ) : **طبقات المفسرين** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ج٢ ، ص ٥٧ .
(٣) أبو عبد الله شمس الدين الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق وتخريج شعيب الأرناؤوط وآخرين ، الطبعة العاشرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ج١٧ ، ص ٤٦٨ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١٦ ، ص ٥٢ .
(٥) المرجع السابق ، ج ١٤ ، ص ٨٣ .

من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته ، وأسوسه وأدق النوى لناضحه ، وأعلف واستقى الماء ، وأخرز غربه – الدلو الكبير – وأعجن ، ولم أكن أحسن أَخْبِزُ ، وكان يخبز لي جارات من الأنصار" [1] وفي هذا ما يؤكد عناية المسلمين بالإتقان والجودة سواء على مستوى النظرية أو التطبيق .

ومما يؤكد تعلم المرأة في عهد رسول الله ﷺ حتى تصل إلى مستوى عال من الجودة أن حفصة زوج النبي ﷺ كانت قد أخذت القراءة والكتابة على يد الشفاء العدوية قبل زواجها برسول الله ﷺ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ طلب من الشفاء العدوية أن تتابع تثقيفها وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة والقراءة[2] مما يدل على عناية المسلمين بوصول المرأة إلى مستوى الجودة في التعليم لا الاقتصار على معرفة أصل القراءة والكتابة كما كانت عائشة زوج النبي ﷺ " أعلم الناس بالحديث وأعلم الناس بالقرآن ، وأعلم الناس بالسنة ، وكانت تحسن الفرائض " المواريث" كما كانت أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة " [3].

وبلغ من إتقان المرأة للعلم أنها كانت تجيز الدارسين ، وفي ذلك يقول صاحب التحبير في المعجم الكبير " كتبت إلى بالإجازة كل من أم الضياء

---

(١) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧١٦ ، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق .

(٢) على عبد الواحد وافي : **حقوق الإنسان في الإسلام** ، الطبعة الخامسة ، مطبعة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٨-١٩٧٩م ، ص٣٢.

(٣) الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٨٥ .

زليخا بنت أحمد بن محمد بن فضلويه ، وأم أحمد طرفة بنت عبد الله الكرخية ، وخديجة بنت أبي سعيد إسماعيل بن عمرو بن محمد بن أحمد بن جعفر " [1].

* * *

(١) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٠٦-٥٦٢ هـ): **التحبير في المعجم الكبير** ،تحقيق منيرة ناجى سالم ، دون دار نشر وتاريخ ، الصفحات ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٢١ .

المبحث الثالث
" مبادئ الجودة في التعليم الاسلامي "

* تمهيد
* معايير مرتبطة بالفلسفة والتصور الإسلامي .
* معايير مرتبطة بالطلاب.
* معايير مرتبطة بالمعلمين.
* معايير مرتبطة بالمناهج وطرق التدريس.
* معايير مرتبطة بجودة المبنى المدرسي .
* معايير مرتبطة بجودة الخريجين .

مبادئ الجودة في التعليم الإسلامي

تمهيد

نرى من الضروري قبل تناول الجودة في التعليم الإسلامي أن نتعرض لمعايير عناصر الجودة في التعليم ، خاصة وهى متباينة إلى حد ما ، ثم نخلص في النهاية إلى تلك المعايير التي سوف نتبعها بعد استعراضنا للمعايير المختلفة لعناصر الجودة في التعليم ، ومن ثم نقوم بتطبيقها على التعليم الإسلامي .

والمطلع على أحدث الدراسات في الجودة الشاملة ليجد نفسه أمام تعدد في معايير الجودة الشاملة ، فيرى كل من حافظ فرج أحمد وصبري حافظ وكذلك يوسف عبد المعطى وأحمد سيد مصطفي أن محاور الجودة الشاملة في التعليم الجامعي تشمل عديداً من المجالات يمكن تحديد أهمها في الآتى : [(١)]

١ – جودة الإدارة الجامعية .

٢ – جودة الطالب الجامعى .

٣ – جودة هيكل البرامج التعليمية على مستوى الكلية .

٤ – جودة عضو هيئة التدريس .

---

(١) حافظ فرج أحمد ، محمد صبرى حافظ : **إدارة المؤسسات التربوية** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ١٥٩ : ١٦١ .

٥ – جودة طرق التدريس .

٦ – جودة الكتاب الجامعي .

٧ – جودة القاعات التعليمية وتجهيزاتها .

٨ – جودة التشريعات واللوائح الجامعية .

٩ – جودة التمويل الجامعي .

١٠ – جودة تقييم الأداء الجامعي .

وترى فاطمة محمد السيد أنه لابد أن يتم تطبيق الجودة في المدرسة من خلال تنمية استراتيجيات التنفيذ وأن تنبع هذه الاستراتيجيات من المدرسة ذاتها فهي المسئولة عن صياغة وتعديل هذه الاستراتيجيات وذلك على اعتبار أن التغيير يجب أن يحدث من داخل المدرسة ولا يفرض عليها ، ولتحقيق وتطبيق الجودة في التعليم لابد أن يتم :

(١) مشاركة جميع العاملين داخل المدرسة .

(٢) إتقان العمل .

(٣) العمل بروح الفريق .

(٤) التدريب .

(٥) تغيير طريقة العمل .

(٦) الاهتمام بالطالب [١] .

---

(١) فاطمة محمد السيد : **تطوير إدارة التعليم الثانوي العام في مصر في ضوء بعض الاتجاهات المعاصرة** ، صحيفة التربية ، العدد (١) أكتوبر ، ١٩٩٥ .

ويرى محمد يوسف أبو ملوح أن هناك بعض المؤشرات في المجال التربوي تعمل في تكاملها وتشابكها على تحسين العملية التربوية هي :

١ – معايير مرتبطة بالطلبة من حيث القبول ونسبة عدد الطلاب إلى المعلمين ، ومتوسط تكلفة الفرد والخدمات التي تقدم لهم ، ودافعية الطلاب واستعدادهم للتعلم.

٢ – معايير مرتبطة بالمعلمين : من حيث حجم الهيئة التدريسية وثقافتهم المهنية واحترام وتقدير المعلمين لطلابهم ومدى مساهمة المعلمين في خدمة المجتمع .

٣ – معايير مرتبطة بالمناهج الدراسية : من حيث أصالة المناهج وجودة مستواها ومحتواها ، والطريقة والأسلوب ومدى ارتباطها بالواقع ، وإلى أي مدى تعكس المناهج الشخصية القومية أو التبعية الثقافية .

٤ – معايير مرتبطة بالإدارة المدرسية : من حيث التزام القيادات بالجودة ، والعلاقات الإنسانية الجيدة ، واختيار الإداريين وتدريبهم .

٥ – معايير مرتبطة بالإدارة التعليمية : من حيث التزام القيادات التعليمية بالجودة وتفويض السلطات اللامركزية وتغير نظام الأقدمية والعلاقات الإنسانية الجيدة واختيار الإداريين والقيادات وتدريبهم .

٦ – معايير مرتبطة بالإمكانيات المادية : من حيث مرونة المبنى المدرسي وقدرته على تحقيق الأهداف ومدى استفادة الطلاب من المكتبة المدرسية والأجهزة والأدوات... إلخ.

٧ – معايير مرتبطة بالعلاقة بين المدرسة والمجتمع : من حيث مدى

وفاء المدرسة باحتياجات المجتمع المحيط والمشاركة في كل مشكلاته ، وربط التخصصات بطبيعة المجتمع وحاجاته والتفاعل بين المدرسة بمواردها البشرية والفكرية وبين المجتمع بقطاعاته الإنتاجية والخدمية [١] .

ويرى أحمد إسماعيل حجي أن الجودة الشاملة للمدرسة تشمل:

أولاً - جودة القوى البشرية المدرسية وتشمل :

- جودة الإدارة المدرسية .
- جودة المعلمين .

ثانياً - جودة بيئة التعليم والتعلم وتشمل :

- جودة المناخ المدرسى .
- جودة تنظيم البيئة المدرسية .
- جودة التعليم بالمدرسة .
- جودة المنهج المدرسى ويشمل :

١- جودة الأهداف.

٢- جودة المحتوى.

٣- استراتيجيات التدريس.

٤- جودة إدارة زمن التعلم.

(١)محمد يوسف أبو ملوح : **الجودة الشاملة والمدرسة** ، مجلة المعلم ، ص ٢ . انظر :
http : // www. Al mualem . net / maga / jawda003 . html

ثالثاً - جودة الموارد المادية للمدرسة :

وتتلخص في المبنى والتجهيزات المتاحة وجودتها وحسن الإفادة منها.

رابعاً - جودة الصلة بين المدرسة والمجتمع المحلى وتشمل :

١ - ارتباط المنهج بالبيئة .

٢ - الاتصال بمؤسسات البيئة .

٣ - ارتباط المنهج بثقافة المجتمع .

خامساً - جودة إدارة المدرسة وتشمل :

تحقيق أفضل أداء وأفضل مخرجات في ظل فعاليات ومكونات ذات جودة [1] .

ومن خلال الاطلاع على معايير الجودة السابقة نقترح المعايير الآتية لنسير عليها طوال بحثنا وهى :

١ - معايير مرتبطة بالفلسفة والتصور الإسلامي .

٢ - معايير مرتبطة بالطلاب.

٣ - معايير مرتبطة بالمعلمين.

٤ - معايير مرتبطة بالمناهج وطرق التدريس.

٥ - معايير مرتبطة بجودة المبنى المدرسى .

٦ - معايير مرتبطة بجودة الخريجين .

---

(١) أحمد إسماعيل حجى : الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية ، مرجع سابق ، ص ص ٤٥٧ : ٤٦٣ .

(١) معايير مرتبطة بالفلسفة والتصور الإسلامي

وضع الإسلام تفسيراً شاملاً بمقتضاه يتعامل المسلم مع هذا الوجود فيكون على علم وبصيرة بالألوهية والكون والحياة والإنسان والمجتمع والأخلاق والمعرفة .

أما فيما يخص حقيقة الألوهية

فالتصور الإسلامي يبدأ من الحقيقة الإلـهية التي يصدر عنها الوجود كلـه ثـم يـسير مـع هـذا الوجـود في كـل صـوره وأشكالـه وكائناتـه ، وموجوداته ويعنى عناية خاصة بالإنسان ثم يعود بالوجود مرة أخرى إلى الحقيقة الإلـهية التي صدر عنها وإليها يعود " [١] .

والإلـه في الفكر الإسلامي إلـه واحد سميع بصير مالك بيده ملكوت السموات والأرض إذا أراد شيئًا فإنما يقول لـه كن فيكون ، إلـه يـرى بـلا حدود من الزمان والمكان، ويعلم كل كبـير وصـغير ظـاهر ومـستتر ، أمـا الحقيقة الإلـهية في الفكر الأفلاطونى والأرسطى الذي قامت عليه النظرية الأساسية الإنجليزية ، وتأثرت به النظرية الموسوعية الغربية فأمرها غريب، فإلـه أفلاطون وإلـه أرسطو لا عمل لـهما ولا إرادة !

وإذا كان أرسطو يرى أن من كمال إلـهه ألا يشعر بذاته وألا يفكـر إلا في ذاته فإن أفلاطون يزعم أن من كمال إلـهه "الأحد" ألا يشعر حتى بذاته، لأنه يتنزه عن ذلك الشعور ! بل إن سلبية الإلـه في التـصور الأفلاطـونى

(١) عـلى أحمـد مـدكور : **نظريـات المنـاهج التربويـة** ، دار الفكـر العـربي ، القـاهرة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص ٣٨٦ .

والأرسطى، والازدواجية بين الإلـه والطبيعة لدى تلاميذ المدرسة الواقعية المدرسية – بالإضافة إلى عوامل أخرى – كان هو الخطوة الأولى نحو فصل حقيقة الحياة عن الحقيقة الإلـهية ، وفصل الدين عن الحياة ، وظهور النظام العلماني الغربى الذي شارك في وضع أسسه جون لوك ، هذا النظام الـذي يقوم عـلى أسـاس فـصل الـدين عـن الحيـاة ، وأن للـه ملكـوت الـسماء وللإنسان ملكوت الأرض [1] .

وفيما يخص الكون

فإن الكون في التصور الإسلامي للكون يؤكـد عـلى أن العـالم عالمـان يتداخلان ويتفاعلان في أفكار البشر ووجداناتهم ، عالم الغيب المتصل بذات اللـه وصفاته والحياة الآخرة والملائكـة والجـن والـروح ، وعـالم الـشهادة ويدخل فيه كل مـا في الأرض وفي الكـون المـشاهد مـن أشـياء وأحـداث وظواهر وعلاقات تجرى وفقا لسنن اللـه " [2] .

مما يعنى أن الكون في التصور الإسلامي كونان غيب وشهود ، فالكون المغيب كالروح والملائكـة والجـن ... إلـخ ، والكـون الـشهود كالإنـسان والحيوان والجماد والنبات والماء والـهواء . . . إلخ . وقد صدرت كلـها عن اللـه ولا أحد غير اللـه أوجدها وسيرها ونظمها .

---

(١) على أحمد مدكور : **نظريات المنـاهج التربويـة** ، المرجـع الـسابق ، ص ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) أحمد المهدي عبد الحليم : "**البحث التربـوي ، الأزمـة والمخـرج**" ، الـدورة الأولى لإعداد الباحثين في التربيـة الإسـلامية المقامـة بفنـدق الأمـان ، القـاهرة ، ينـاير ، ١٩٩٥م ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

وأمر الإسلام بالنظر إلى الكون نظرة عقلية ولكنها تعمل على تحريك عواطف الإنسان وإحساسه بعظمة خالقه سبحانه وتعالى، كما تشعره بغرضية هذا الكون : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان].

ويستعرض الإسلام كثيراً من ظواهر الكون المادي المنظور كالشمس والقمر والليل والنبات والبحار وغيرها ليدعم في نفس المؤمن مقدرة الله على الخلق والإيجاد والإبداع والإتقان ، ومن هنا نستطيع أن نلاحظ أن مفهوم الألوهية يعمق في نفس المسلم عن طريق الكون المشهود أن هذا الكون المشهود يهدي الناس إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وهو ما يخالف التصور الغربي والمنهجية الغربية ومعظم الفلسفات الوضعية للكون إذ تقتصر على الكون المشاهد ، ذلك الكون الذي أوجد نفسه بنفسه ؟! وتدع الكون غير المشهود .

وفيما يخص المعرفة

فإن موضوع ما نسميه العلم وما نسميه الدين موضوع واحد بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٦١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة:١٤٥] والمعلوم أن الذي جاء لهذا النبي ﷺ هو القرآن، مما يعنى عدم وضع حدود فاصلة بين العلم والقرآن ، وهو ما يؤكد على عدم الفصل في الإسلام بين موضوع الوحي وموضوع العلم ، ولذا نلاحظ في فكر المسلمين الأوائل تكاملاً بين العلوم الشرعية والكونية في مناهج البحث

كأدوات للوصول إلى المعرفة ؛ ولم نشهد طوال عهودنا الإسلامية السابقة صراعًا بين العلم والدين ، فالصراع بين العلم والدين لا وجود له ، وليست له فائدة ، وليست له ثمار بالنسبة للنظرة الإسلامية ، فإن كان قد نما العلم الغربي في بيئة شهدت عداوة بين العلم والدين ، ومن هنا اكتسب الغربيون اتجاهًا سلبيًا نحو كل المظاهر غير التجريبية للمعتقدات [(١)] فإن الإسلام لا يعرف حدودًا فاصلة بين العلم والدين .

"إن رسم حدود بين العلم والدين أمر في حد ذاته مشين وذنب كبير"[(٢)] في الفكر الإسلامي. ومن هنا أنتجت المنهجية العلمية الإسلامية علومًا تزيد قربًا إلى الله بينما أنتجت المنهجية العلمية الغربية علومًا تكاد تلغي وجود الله عند دراستها للظواهر الكونية والإنسانية على حد سواء[(٣)] وفقدت الوحي كمصدر مهم من مصادر المعرفة واعتمدت على المنهج التجريبي كمنهج رصين وأنه القادر على إثمار المعارف اليقينية المستحقة لاحترام العلماء ، واختزلوا علم الإنسان إلى عالم الشهادة وأنكروا

---

(١) جمال محمد الهنيدي: **تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى من الهجرة** ، دار الوفاء ، المنصورة "ج. م. ع" ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ص ٥٠ نقلاً عن :

- M.A. Zaki Badawi: **Traditional Islamic Education its Aims and Purposesin The Present day**, Hodder and Stonghton, King Abdel aziz university , jeddah, 1997 , P 113 .

(2) Mohamed Qutb : **The Role of Religion in Education**, Hodder and stonghton, King Abdul Aziz University , Jeddah, 1979, P.51 .

(٣) عبد الرحمن النقيب : **"مشروع منهجية البحث في التربية الإسلامية رؤية مغايرة"** جامعة المنصورة الإدارة العامة للدراسات العليا والبحوث والعلاقات الثقافية ، إدارة البحوث ، ١٩٩٦م ، ص ص ١٢١ ، ١٢٢ .

الحياة الآخرة ، واختزلوا مصادر المعرفة إلى الظواهر المادية فقط دون غيرها، وجعلوا العقل هو أداة المعرفة رغم أن العقل لا يمكن أن يكون مصدرا مضموناً للحقيقة .

فالتنزيل هو المصدر الآخر المساعد فكلمات الله ووحيه إلى رسوله ﷺ تقوى وتعزز من آياته في الأنفس والآفاق ، ويرتبط هذان المصدران للمعرفة بشدة ببعضهما ببعض ، فكلمة آية تستخدم فيما يختص لكل منهما ، فالوحى والعقل ينسجان ويسيران يداً بيد ، وكل منهما يكمل الدور الذى يقوم به الآخر ، وهذه الحقيقة أدركت حتى من قبل المعتزلة الذين ينادون بأهمية العقل . . . إذن العقل والوحى ينظر إليهما كمصدرين متكاملين للمعرفة ولا ينظر إليهما كمضادين لبعضهما [1] كما في الغرب الذي حصر مصادر معرفته في العقل الإنساني وحده ، وبذلك حرم نفسه من مصدر مهم جدًا من مصادر المعرفة ألا وهو الوحى .

وكان من ثمار النظرية الإسلامية للعلم علماء جمعوا بين العلم والإيمان بينما كانت النظرية الوصفية للعلم في الغرب المسئولة عن الأجيال الملحدة من العلماء الذين لم يعصمهم علمهم عن الإلحاد والفساد ، كذلك فقد منحت النظرية الإسلامية للعلم حضارة لم تدمر الإنسان والطبيعة أو تلوث البيئة أو تهدد العالم بالدمار كما فعلت النظرية الوضعية للعلم [2] .

---

(1) Abdul Rahman Salih Abdullah : **Educational Theory Aqur'anic Outlook** , Umm Al. Qura University, Makkah Almukaramah, Faculty of Education, Educational Psychological Research center, pp. 103, 104 .

(٢) عبد الرحمن النقيب : **منهج المعرفة في القرآن والسنة** ، دارسة تحليلية مقارنة ، بحوث في التربية الإسلامية ، الكتاب الخامس من سلسلة " أفاق البحث العلمي=

وفيما يخص الأهداف

فإذا كانت أهداف التربية في معظم البلدان الغربية توجه برامجها من أجل الحصول على المتخصصين في المجالات المتعددة للوصول إلى الرفاهية المادية فقط فإن المسلمين هدفوا إلى بناء الشخصية العابدة لله – " بالمفهوم الواسع للعبادة " – القادرة على حمل الأمانة وبالتالي هدف المسلمون للوصول إلى سعادة الدارين الدار الأولى والدار الآخرة ؛ ولذا نرى الماوردى يؤكد على أن التربية الإسلامية تهدف إلى إعداد الفرد للدنيا والآخرة على حد سواء [1] ، ولعل وسيلة ذلك هو التأكيد على الجودة والإتقان في التعليم وفي ذلك يقول هارون الرشيد لمؤدب ولده "ليكن أول ما تبدأ به قبل إصلاح أولاد أمير المؤمنين هو إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تركته... ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يحكموه"[2].

وقول صاحب أبجد العلوم ناصحًا المتعلم قائلاً "وينبغي أن يثبت ويصبر على فن حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول "[3] ، معنى

= في التربية الإسلامية " ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص٥٣ .

(١) ماجد عرسان الكيلانى : **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية** ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٤١ .

(٢) عبد الرحمن بن الجوزى : **صفوة الصفوة** ، ط٢ ، تحقيق محمد رواس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ج٢ ، ص ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٣) صديق حسن القنوجى (١٢٤٨ – ١٣٠٧هـ) : **أبجد العلوم** ، تحقيق عبد الجبار ذكار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٧٨ ، ج١ ، ص١٣١ .

هذا أن أهداف التربية الإسلامية تهتم بالجودة وبالدنيا وتنتهي بالآخرة بأسلوب متكامل ومتناسق ، كما تبدأ ببناء الفرد المسلم المتكامل في جميع جوانبه الشخصية إلى المجتمع الإنساني عامة ، وهو ما يؤكد اتساع أهداف التربية عند المسلمين عنها عند غيرهم ، وحرصها على الدقة والإتقان وهو ما يعد إحدى دلالات الجودة الشاملة .

وفيما يخص الإنسان

فإذا كان الإنسان في التصور الإسلامي هو أرقى مخلوقات الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ويحتل مكانة في الكون يسمو بها على بقية الكائنات ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] ، وقد كرمه الله تعالى ورفع قدره: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء] ، وخلقه في أحسن صورة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين] ، ومنحه حرية الإرادة الإنسانية ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] ، وجعله مسئولاً ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة] ، فهو لدى بعض الفلسفات الغربية لا يعدو أكثر من كونه حيوان متطور عن الطبيعة التي هي أصل الأشياء وسبب وجودها ! ، وإذا كانت النفس هي كل متكامل تمثل جماع الإنسان في التصور الإسلامي ، وإذا كانت الروح هي أصل الإنسان ومادته والنفس مكونة منها ومن اتصالها بالبدن ، فإنه في معظم الدراسات النفسية والنظريات التربوية الغربية ليس للإنسان نفس مخلوقة

وإنما نفس طبيعية تضعها الظروف والمؤثرات البيئية الخارجية !

وعلى هذا فإن علم النفس في التصور الإسلامي يتعامل مع الإنسان الذي خلقه الله ومع النفس المخلوقة من مركب الروح والجسد متفاعلين ومتكاملين ، لكن علم النفس الغربي في عمومه يتعامل مع الإنسان الطبيعي الذي جاء نتيجة تطور الأحياء ، ومع النفس التي جاءت نتيجة للظروف الطبيعية والمؤشرات البيئية[1] .

وفيما يخص الأخلاق

فإن الإسلام قد فرض على المسلم مجموعة من العبادات ليست طقوسًا مبهمة وإنما هي مجموعة من الأعمال تهدف إلى تعميق الخلق في شخصية المسلم ، ولذلك يجد البصير المتعمق في الشعائر التعبدية التي أمر بها الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج أنها كلها تهدف إلى غاية واحدة هي الأخلاق ، فالصلاة هدفها نهي المسلم عن كل فاحشة ومنكر ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] وكذلك الصوم يؤدي إلى التقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة] ، كما يؤدي الحج إلى قيم أخلاقية: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] ، كما فرضت الزكاة لتطهير النفس: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

والأخلاق الإسلامية أخلاق ربانية رسمت لكل مجال من مجالات

(١) علي أحمد مدكور : **نظريات المناهج التربوية** ، مرجع سابق ، ص٣٩٧ .

الحياة منهجًا سلوكيًا وأطرًا متعددة على هيئة دوائر متحدة المركز ، كل منها قابلة لأن تتسع وتنكمش في توافق مع المجموع ، ومن ثم فهي تستهدف تطور البشرية ولكنه تطور في حركة نشطة حول محور ثابت ، وبهذا المعنى فإن ربانية المنبع القيمى لا تقيد حركة المسلم ولا تحد من انطلاقه الفكري[١] .

وإذا كانت القيم الإسلامية نابعة من القرآن والسنة وقد تشكلت بصورة حية في أخلاق محمد ﷺ معنى ذلك أن لا اختلاف ولا مذاهب شتى في القيم الخلقية[٢] ، أما في الغرب فنلاحظ اختلاف الأخلاق من مجتمع لآخر حيث ذهب الفلاسفة مذاهب عدة فمنهم من فسرها تفسيرًا بيولوجيًا ، ومنهم من فسرها تفسيرًا اجتماعيًا ، بل اختلفوا في معنى الحق والباطل ، والخير والشر ، فأجمعت لديهم مذاهب متعددة وأراء مختلفة لا تستند إلى أصل ثابت الأمر الذي أدى بهم إلى أن يختلفوا في سلوكهم وآرائهم واتجاهاتهم في الحياة[٣] ، لكن هذا الاختلاف لا محل له عند المسلمين .

---

(١) عبد الودود مكروم: **العلاقة بين التربية الإسلامية والتنمية الحضارية في المجتمع الإنساني ، دراسة نظرية المؤتمر** العلمي السنوي العاشر لقسم أصول التربية "التربية الدينية وبناء الإنسان المصري" المنعقد في الفترة من ٢١-٢٢ ديسمبر ، ١٩٩٣م ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ص١٦١ .

(٢) عبد الجواد سيد بكر : **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٢٢٩ .

(٣) مقداد يالجن : **منهاج الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث** ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص٣٦.

والأخلاق الإسلامية أخلاق نظرية وعملية لا انفصام بينهما وهي تتعلق بمصالح البشر علاوة على أنها عالمية وثابتة لا فصل فيها بين القيم الروحية والطبيعية والإنسانية .

ونستطيع أن نلاحظ تكاملا بين السمات المادية والروحية في العلاقة الإنسانية ، والأخلاق الإسلامية إلهية بمعني أنها من صنع الله سبحانه وتعالى وتسعى للفلاح في الدنيا والآخرة عكس الأخلاق الغربية التى تؤكد فقط على الدنيا والمادة(١).

ويعد التوحيد أحد أعمدة الأخلاق الإسلامية التى تعتمد على الثقة والطاعة لأوامر الله والتي تشعر الإنسان بالحرية والاستقلال عن كل الكائنات عدا الله سبحانه وتعالى إضافة إلى تكوينها للآتى : (٢)

١. الديانة .
٢. الاحتراف في العمل .
٣. الجودة .
٤. تكامل الشخصية وتوازنها .

وفيما يخص المجتمع

فإن الفكر الإسلامي يرى أن الإنسان في المجتمع يقوم بأفعاله هو

---

(1) Nor `Azzah Kamri, Khairiah Salwa Hj. Mokhtar: **THE ROLE OF ISLAMIC ETHICS IN ORGANIZATIONS : THE EXPERIENCE OF MALAYSIA** , paper presented at The 6 th Aseean Inter- University Seminars On Social Development 14-16 May,2004, University Sains Malaysia.,P 4 :5 .
(2) Ibid, P.7.

وفقًا لإرادته هو واختياره ، فالله يغير ما بالناس وفقًا لما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم ، وإن كان يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، إلا إن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم ويجيء لاحقًا له في الزمان بالقياس إليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣] ؛ أما في الفكر الغربي فنجد أن أسباب التغير الاجتماعي لا توجد في قول الناس وأفكارهم وإرادتهم وإنما توجد في ديناميكية العملية المادية[1] .

ويؤكد الإسلام على إصلاح البيئة الاجتماعية وإيجاد الضوابط والتشريعات الخاصة بأنظمتها المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية، كما يدعو إلى التعارف والتواد والتراحم﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] ، وكأن الهدف من خلق الإنسان هو الاجتماع بغيره من الناس مسلمين أو غير مسلمين ، ولذا اتخذت التربية الإسلامية مجموعة من القواعد تدعو إلى بر الوالدين والتواصل مع الأهل والأقارب والجيران والمجتمع بصفة عامة حتى أنه جعل الفرد في داخل المجتمع جزءاً لا يتجزأ منه وعضواً عاملاً فيه يتأثر به سلبًا وإيجابًا "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2] أما في الفكر

(١) علي أحمد مدكور : **نظريات المناهج التربوية** ، مرجع سابق ، ص٣٩٦ .

(٢) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص١٩٩٩ ، حديث رقم ٤٥٨٦ ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

الغربي فباسم الحرية والديمقراطية الأسرية تفتتت الأسر ولم يعد يجمعها حدود دنيا في الفكر والروابط .

(٢) معايير مرتبطة بالطلاب :

في هذا المحور سوف نتناول أهم المعايير المرتبطة بالطلاب والتي تساعد على تخريج طالب يتمتع بالجودة والإتقان والحذق ، ولعل من أهمها:

مفهوم المراقبة والشعور بالمسئولية :

بداية قبل تعرفنا لمفهوم المراقبة لدى التلميذ يجب أن نشير إلى الرقابة على المنتج – وقد يكون التلميذ أيضا – فنقول إن الرقابة على المنتج أمر ضروري للوصول بالمنتج إلى حد الإتقان ، ولذا تحرص الدول المعاصرة إلى التنبيه على أهمية الرقابة أو التفتيش على العمال وعلى المنتج ، وقد ثبت صعوبة هذه الرقابة في الآونة المعاصرة إذ يحتاج المراقبون غالبا إلى مراقبين آخرين ، والآخرين يحتاجون إلى آخرين وهكذا مما يضيع كثيرا من الجهد والوقت والمال ، وربما يضر بجودة المنتج في حين أن الرقابة في الإسلام رغم تأكيدها على هذا النوع من الرقابة الخارجية إلا إنها تعود لتؤكد على أهمية الرقابة الذاتية التي تنبع من داخل الإنسان لأن الضمير حارس لا يغفل ولا ينام ، والرقابة الخارجية حارس كثير الغفلة والنسيان ، ذلك الضمير الذي يركز فيه أنه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

إن المسلم ليستشعر مراقبة الله تعالى له ، وأنه شاهد على عمله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] ، أنه استشعار لمراقبة الله تعالى يجعل الإنسان مسؤولاً ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء] ، قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدّثر].

بل يعيب الله تعالى على من يؤكد على الرقابة الخارجية دون الرقابة الإلهية ، فيقول تعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء] ، إنه تعالى يريد أن يستشعر المسلم مراقبته له وأن لديه ملكان يسجلان عليه أعماله ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، إنها رقابة تنبع من الأساس من الداخل ، رقابة تبعد عن الغش والتدلس ؛ لأنه " من غشنا فليس منا " [(١)].

بل إن حديث رسول الله ﷺ القائل فيه: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" [(٢)] ليؤكد على أهمية الرقابة

(١) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٩٩ ، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا.
(٢) المرجع السابق ، ص١٤٥٩ ، ج٣ ، حديث رقم ١٨٢٩ .

الخارجية في الفكر الإسلامي .

وإذا كان الإسلام يؤكد – في الأساس – على الرقابة الذاتية للفرد ، فإنه أيضاً لا يتجاهل الرقابة الخارجية بدليل وجود المحتسب في المجتمع المسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويراقب الخبازين والجزارين والكتاتيب والصناعة وغيرها ، وذلك لأن "تدليس الصناعة وغشوشهم خفية لا تكاد تعرف ولا يصدهم عن ذلك إلا أماناتهم ودينهم " [1] .

ومن أمثلة الرقابة الخارجية في المجتمع الإسلامي ما كان يصدر من متابعة للمحتسب على أرباب الصائع وفي ذلك يقول ابن الأخوة في الحسبة على النحاسين والحدادين " لا يجوز له إذا اشترى قطعة نحاس فيها لحامات إلا أن يُطْلع المشترى عليها .... فإن أخفاه ولم يطلعه عليه كان غاشاً ، فإن أطلع بعد ذلك المشترى عليه ثبت له الرد وعزره المحتسب على غشه " [2] ، كما ثبت أن المحتسب كان يزور الكتاتيب طوال فترة الازدهار الإسلامي ويعمل على توجيهها .

ومما يؤكد حرص العامل المسلم على الجودة والإتقان ما ذكر فيه " أن عاملاً عمل عملاً تجاوز فيه ، ودفعه لصاحبه فلم ينم ليلة كراهة أن يظهر عدم الإتقان في عمله فشرع في عمل أخر بدله حتى أتقنه ما يقتضيه واجب العمل ثم غدا به إلى صاحبه فأخذ الأول وأعطاه الثاني فشكره ، وقال : لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق العمل ، كراهة أن يظهر من عملى

(١) عبد الرحمن الشيرازى : **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .
(٢) ابن الأخوة : **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

عمل غير متقن ، فمتى قصر العامل في العمل فقد كفر ما علمه اللـه وربـما سُلب الإتقان (1).

ومما يؤكد أهمية حسن المراقبة في نفس المسلم ما روى عـن مالـك بـن دينار من أنه كان يكتـب المـصاحف بـالأجرة ، وكـان مـن أحفـظ النـاس للقرآن، وكان يقرأ كل يوم جزءاً من القرآن حتى يختـم فـإن سـقط حـرف قال: بذنب منى وما اللـه بظلام للعبيد " (2).

ومما يؤكد المراقبـة في نفـس الطالـب المـسلم مـا روى مـن أن سـفيان والفضيل بن عياض قد التقيا فتذكرا ، فبكيا ، فقال سفيان : إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة ، فقال الفضيل : لكنى أخـاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه شؤماً ، أليس نظرت إلى أحسن مـا عنـدك ؟ فتزينت به لى ، وتزينت لك ، فعبدتنى وعبدتك ، فبكى سـفيان حتـى عـلا نحيبه ثم قال : أحببتنى أحياك اللـه " (3).

ولا شك أن المراقبة تربى في المسلم الشعور بالمسئولية فتجعلـه يحاسب نفسه فينتج الإنتاج المتقن الذي يسأل عنه أمـام اللــه سـبحانه وتعـالى وفي ذلك يقـول تعـالى: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:93]. أي يـسألكم

---

(1) سعد المرصفي : **العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضـعية** ، الطبعـة الأولى، دار البحوث العلمية ، القاهرة ، 1400هـ/ 1980م ، ص 246 .

(2) أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد الجزرى (ت833هـ) : **غاية النهاية في طبقات القراء** ، الطبعة الثالثة، عنى بنشره .ج. برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1402هـ/ 1982م ج2 ، ص36 .

(3) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج 7 ، ص 267 .

الله تعالى يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفتيل والنقير والقطمير "[1].

فالمسلم لديه شعور بالمسئولية الكاملة عن جميع أفعاله وأقواله وجوارحه وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]. ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

وتتسع دائرة الشعور بالمسئولية لدى المسلم من الدائرة الفردية الخاصة بتكميل نفسه وفلاحها إلى الدائرة الأسرية إلى دائرة المجتمع إلى دائرة الأمة ... ، وتمكن هذا المفهوم من الطالب من أكبر دعائم الجودة بمعناها الإسلامي الشامل [2]

ولذلك فإن المسلم لا يهمه كم الإنتاج بقدر ما يهمه أن يجوده ويتقنه ويبذل فيه جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يراقبه ويحاسبه " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع "عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه" [3].

---

(١) الإمام ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٨٥ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : **مفهوم الجودة الشاملة ، الأصول الإسلامية والغربية** ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص٤١٤ .

وضع الفرد المناسب في المكان المناسب :

يدعو الإسلام إلى إسناد الأعمال لذوى القدرة والأمانة ، وفي ذلك يقول القرآن على لسان ابنة النبي شعيب ﷺ ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص] والقوة هنا ضرورية حتى يستطيع أن يسقى الغنم والأمانة ملازمة للقدرة ، بل وملازمة لجميع الأعمال ، ومن هنا نستطيع القول بحاجتنا إلى متخصصين يملكون القدرة والقوة على العمل إضافة إلى الأخلاق الإسلامية بصفة عامة والأخلاق المرتبطة بالمهنة بصفة خاصة .

معنى ذلك أن هناك متطلبات ينبغي توافرها في أي مهنة من المهن لابد أن تتوافر في شاغلها وما لم تتوفر فإنه يكون من الخسران أن يلتحق الفرد بمهنة لا تتناسب مع إمكاناته ، ولذلك نجد الرسول ﷺ يختار معاذ بن جبل ليوليه اليمن لفقهه ورجاحة عقله وخلقه ، وعمر عاملاً على الصدقات لعدله وحزمه ، وخالداً للجيش لمهارته وحكمته العسكرية ، وبلالاً لبيت المال لأمانته وتدبيره ، ويرد أبا ذر لضعفه وعدم توفر الإمكانات المطلوبة فيه ، وفي ذلك يقول الإمام مسلم " عن أبى ذر الغفارى ﷺ قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ : فضرب يده على منكبى ، ثم قال يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها إمارة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " [1] وفي موضع آخر يؤكد ﷺ على أهمية وضع

(١) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٤٥٧ ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة .

الفـرد المناسـب في المكـان المناسـب بقولــه: " أكلفـوا مـن الأعـمال مـا تطيقون"[1] حتى يأتى العمل على أحسن وأتم صورة .

ومما يؤكد أن المسلمين كانوا يرفضون أن يلتحق أي فرد بعمل لا يتقنه قول الشيرازى " والطبيب هو العارف بتركيب الأبدان ، ومزاج الأعضاء ، والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضـها وعلاماتها والأدويـة النافعـة فيها، وطريقة مداواتها ليساوى بين الأمراض والأدوية في كمياتها ، فمـن لم يكن كذلك فلا يحل لـه مداواة المرضى ولا يجوز لــه الإقـدام عـلى عـلاج يخاطر فيه ، ولا يتعرض إلى ما لم يحكم علمـه "[2] والإحكـام هنـا بمعنـى الحذق والإتقان والجودة وهى فريضة شرعية وضرورة بشرية .

وفي مجال التعليم راعى المسلمون أن يتجـه الطالـب إلى العلـم الـذي يقبلـه طبعـه ، (فلـيس كـل مـن يـصلح لـتعلم علـم مـن العلـوم يـصلح لجميعها)[3] ، ولذلك يرى علماء التربية المسلمون - خاصـة ابـن سـينا - ضرورة مراعاة الصبي وإمكاناته خاصة عند إرشاده إلى نوع التعليم الـذي يتوافق وإمكاناته ؛ لأنه " ليس كل صناعة يروقها الصبي ممكنه لـه مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وإنه لو كانـت الآداب والـصناعات تجـاب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غفلاً من الآداب

---

(١) الإمام البخاري : **صحيح البخاري** ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٣٧٣ ، حديث رقـم ٦١٠٠ .

(٢) عبد الرحمن الشيرازي : **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

(٣) أحمد شلبي : **التربية الإسلامية "نظمها – فلسفتها – تاريخها"** ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ٢٩٩ .

وعارياً من صناعة " [1] مما يؤكد حرص المسلمين على وضع الطالب في التخصص المناسب لـه بعد معرفة ميولـه وقدراته وإمكاناته لأن من يصلح لعلم معين قد لا يصلح لغيره ، وذلك لما بين المتعلمين من فروق بالنسبة لفروع المعرفة المختلفة ، وكذلك بالنسبة لكل ما يمكن تعلمه من مهارات الحياة المتعددة " [2] .

وقد أدرك المربون المسلمون هذه الحقيقة فاهتموا بتوجيه الصبى تربوياً ومهنياً في نهاية المرحلة الأولى من التعليم الإسلامي مع مراعاة ميولـه واستعداداته واتخاذها أساساً في تحديد مستقبلـه ، عند إرشاده إلى المهنة التي يختارها في مستقبل حياته [3] ، أو عند توجيهه إلى الدراسات في المرحلة الأعلى عند المسلمين وفي هذا المعنى يقول ابن سينا: " فلذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة ، أن يزن أولاً طبع الصبي ويختبر قريحته ، ويختبر ذكاءه فيختار لـه الصناعات بحسب ذلك " [4].

العمل التعاوني :

الإسلام بصفة عامة يطالب المؤمنين به بالتعاون على كل خير ومنع من

---

(١) ابن سينا : **كتاب السياسة** ، نشرة لويس معلوف ، مجلة المشرق البيروتية ، ١٩٠٦م ، ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥.

(٢) سعيد إسماعيل على : **العمل في الفكر التربوى الإسلامي** ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) محمد كمال طه الحسيني : **الاتجاه البولتكنيكى في التربية الإسلامية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٨٤م ، ص ١٦٤ .

(٤) ابن سينا : **كتاب السياسة** ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

كل شر ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢] ، ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وفي ظل نظام تشاوري تعاوني يؤدى بالعمل إلى درجات عليا في الجودة والإتقان والخطاب هنا للجماعة تأكيداً لروح الجماعة – يمكن أن تتم كثير من الأعمال النافعة سواء للفرد أو للمجتمع أو لهما معاً ، وبالتعاون لا بالأنانية يكون الأداء أكثر جودة وأكثر فاعلية ، ومن هنا فإن شيوع مفهوم التعاون الإسلامي إنما يمثل دعامة هامة من دعائم تحقيق جودة التعليم (١) وجودة المنتج بصفة عامة .

ولأهمية الاجتماع والتعاون في الفكر الإسلامي أكد الإسلام على الصبر من أجل وحدة المسلمين فقال ﷺ " من رأى من أمير شيئا يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة الجاهلية " (٢).

ولعل تأكيد الإسلام على الروح التعاونية بين المسلمين وحضهم على المثابرة على هذه الروح بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)﴾ [آل عمران] ، لما في الأمر بالتعاون أمر بأن يعين الغنى الفقير ذى الحاجة المحتاج إلى مساعدة ، وأمر لدى العقول الرشيدة بتوجيه ما هو في حاجة للنصح والإرشاد إلى

---

(١) عبد الرحمن النقيب : **مفهوم الجودة الشاملة** ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

(٢) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٤٧٧ ، حديث رقم ١٨٤٩ .

طريق الخير ، وأمر بأن يعين الناصح الماهر أخاه المتوسط المهارة ، إلى آخر أنواع التعاون في سبيل الخير [1].

إن الجهد الفردي مهما كان بارعاً فهو محدود في نتائجه ودقته إذا قيس بالجهد الجماعي ، ولذا جعل الإسلام العمل التعاوني ضرورة ووسيلة أساسية للوصول إلى الإتقان ، وضرب أروع التشبيه للتعاون بين المسلمين في قوله ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه" [2]

ويحكى الإسلام لنا قصة رائعة يتجسد فيها تعاون أفراد المجتمع جميعاً في سبيل إتقان صنعة السدود وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف].

والناظر في الآيات السابقة يلاحظ إجمالاً عاماً في الواقع ؛ لأن ذا القرنين حينما ساوى بين الصدفين ثم جعل النار تقهره ، كان من ذي قبل

---

(١) محمد يوسف موسى : **الأخلاق في القرآن** ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٦٥ .

(٢) الإمام البخاري : **صحيح البخاري** ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٢٤٢ ، حديث رقم ٥٦٨٠ ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا .

مكلفاً فرقة أخرى بإذابة النحاس غير تلك التي كانت تعمل معه في إذابة الحديد ، فإذا ما ذاب الحديد دعا من كلفوا بإذابة النحاس حتى يدمج الاثنين معاً ، ثم تركهما ليبردا فيتماسك الحديد والنحاس مكوناً سبيكة ذات خواص جيدة وجديدة لم تكن موجودة أصلاً في كل معدن على حدة – ومن هنا نقول بأن العمل الجمعي أفضل من العمل الفردي – ومما يدل على وجود فرقتين أو أكثر لإذابة الحديد والنحاس أن درجة انصهارهما ليست واحدة فدرجة انصهار النحاس غير درجة انصهار الحديد النقى ، ومن هنا يلزم أن تتقدم فرقة على الأخرى في بدأ الانصهار حتى يصلا معاً إلى درجة الانصهار في وقت واحد ، ويُدمجُ المعدنين معاً ، وفي هذا ما يؤكد على أهمية العمل التعاونى في إنجاز المهمات وفي اختبارها أيضاً في النهاية إذ قام فريق باختبار السد بعد الإنشاء فتأكدوا من قوته ومناعته وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف] ولم يقل سبحانه وتعالى فما استطاع – بصيغة المفرد – مما يؤكد على أهمية عمل الفريق والعمل التعاونى بصفة عامة .

وإذا نظرنا إلى التعليم الإسلامي وجدناه يمارس في أرض الواقع العمل التعاونى ونستطيع أن نلمح ذلك فيما يرويه ابن خلكان من أن " أبا عمرو بن إسحاق بن مرار الشيبانى النحوى كان يستعير الكتاب من تلميذه يعقوب بن السكيت وفي هذا يقول يعقوب . وكان ربما استعار الكتاب منى وأنا إذ ذاك صبى آخذ عنه وأكتب من كتبه "(١) ، مما يؤكد

(١) ابن خلكان " أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج١ ، ص ٢٠١ .

على روح التعاون بين أهم عنصرين من عناصر التعليم ألا وهما المعلم والمتعلم .

ومن صور التعاون بين الطلاب أيضاً ما يرويه الأزهرى بقوله: "كنت أشترى وأنا صبى جزءاً من حديث المائدة التي أنزلت على بنى إسرائيل فرآه معى ابن إسماعيل فقال : قد سمعت هذا الحديث ثم حدثنى به " (١) وفي هذا ما يؤكد تعاون الطلاب مع بعضهم ، وتعاونهم في تحصيل العلم والسبق فيه .

الحرص على الوقت والتعليم والتعلم :

حياة المسلم كلها محسوبة عليه ، وعليه أن يقضى جميع الأوقات فيما يفيده في الدنيا والآخرة ، فعمر الإنسان لابد أن يُستغل أحسن استغلال ولابد من المساعدة والهمة في أداء الواجبات (٢) ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة] ، فالوقت هو رأس المال الحقيقي للإنسان والذاهب منه لا يعود بحال من الأحوال على حين أن المال يذهب ويجيء ، فالإسراف في الوقت أمر لا يقدم عليه عاقل ، ولا ينبغى أن يرضاه إنسان لنفسه ، ولذلك حث الإسلام أبناءه جميعاً على تقدير الوقت والزمن حق قدره ، ونهى نهياً شديداً عن إضاعة شيء منه في غير خير أو فائدة (٣) .

---

(١) الخطيب البغدادى "أبو بكر أحمد بن على بن ثابت" **اقتضاء العلم العمل** ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد ناصر الألبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ، ج٢ ، ص ٥٥ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : **مفهوم الجودة الشاملة** ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٣) محمد يوسف موسى : **الأخلاق في القرآن** ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

ومن هنا نربّى الطالب المسلم على الحرص على الأوقات ، يتبين ذلك من قول سفيان ابن عيينة حين قال : " عمرو بن قيس هو الذي أدبني وعلمنى قراءة القرآن وعلمنى الفرائض ، فكنت أطلبه في سوقه ، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته إما يصلى وإما يقرأ في المصحف كأنه يبادر أموراً تفوقه ، فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة في زاوية من بعض زوايا المسجد [1] وفي هذا ما يؤكد حرص الطالب المسلم على طلب الأستاذ في سوقه أو بيته أو مسجده طلباً للعلم ، وقد تعلم استغلال الوقت من خلال احتكاكه بأستاذه الذي غالباً ما يبدى احتراماً واستثماراً للوقت في عمل من الأعمال .

ويحكى لنا سفيان بن عينية حادثة أخرى نتبين منها حرصه على التعليم والتعلم واستغلال الوقت فيقول : " كان أبى حرفياً بالكوفة فركبه الدين ، فحملنى إلى مكة ، ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر ، وصرت إلى باب المسجد ، إذا شيخ على حمار ، فقال لى: يا غلام أمسك هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع ، فقلت: ما أنا بفاعل أو تحدثنى قال: وما تصنع أنت بالحديث ؟ واستصغرنى ، فقلت : حدثنى ، فحدثنى بثمانية أحاديث فأمسكت حماره ، وجعلت أتحفظ به فلما صلى وخرج قال : ما نفعك ما حدثتك به حبستنى ، فقلت : حدثتنى بكذا وحدثتنى بكذا فرددت عليه جميع ما حدثنى به ، فقال: بارك الله فيك تعال غداً إلى المجلس فإذا هو

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ ، ج٥ ، ص١٠١ .

عمرو بن دينار"[1].

إن إدراك الطالب المسلم لأهمية الوقت جعله يتخطى كثيراً من العقبات التي يمكن أن تحول دون استغلال الوقت في المذاكرة والدروس ومن أمثلة هذه العقبات صعوبة الطريق المؤدى إلى المعلم وفي ذلك يقول عبيد الله السمرقندى: " إنى كنت في سن عشر ، وكنت أذهب إلى المعلم بطاشكند والوحل – أي الطين – في تلك البلاد كثيراً "[2] ، إضافة إلى الفقر والذي كان – ومازال – يمثل عقبة في سبيل تحصيل العلم وفي ذلك يقول الإمام الشافعى " طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد ، فكنت أجالس الناس وأحفظ ، ثم اشتهيت أن أدون ، وكان منزلنا بمكة قرب شعب الخيف فكنت آخذ العظام والأكتاف فأكتب فيها "[3].

ومما يؤكد حرص الحسن بن عرفة على العلم والتعلم واستغلال الوقت ما يرويه صاحب بغية الطلب في تاريخ حلب إذ يقول على لسان الحسن بن عرفة : " قدم عبد الله بن المبارك البصرة فدخلت عليه فسألته

---

(١) عبد الرازق حسين : **الأطفال في التراث العربي** ، بحوث في ثقافة الطفل المسلم (٣)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر (٣) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م ، ص٨٥ .

(٢) طاش كبرى زادة : **الشقائق النعمانية "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم"** ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ ، ج١ ، ص ١٥٦ .

(٣) أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر : **تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها** ، تحقيق شكرى فيصل وآخرين، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ج ٥١ ، ص ٢٨٢ .

أن يحدثنى فأبى وقال : أنت صبى ، قال الحسن بن عرفة : فأتيت حماد بن زيد فقلت: يا أبا إسماعيل دخلت على ابن المبارك فأبى أن يحدثنى فقال: يا جارية هاتِ خفي وطيلسانى وخرج معى يتوكأ على يدى حتى دخلت على ابن المبارك فجلس معه على السرير فتحدث ساعة ثم قال له : يا حماد يا أبا عبد الرحمن ألا تحدث هذا الغلام ؟ ، فقال ابن المبارك : يا أبا إسماعيل هو صبى لا يفقه ما يحمله ، قال حماد : حدثه يا أبا عبد الرحمن فلعله والله أن يكون آخر من يحدث عنك في الدنيا ، قال الحسن بن عرفة: رحم الله حماداً ما كان أحسن فراسته أنا آخر من حدث عن ابن المبارك " (١) .

ويقول أبو الفرج بن الجوزى " ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع عن العدو لئلا أُسبق" (٢) .

الرجوع للمصادر الأصلية

تميز الطالب المسلم بالرجوع إلى المصادر الأصلية بهدف توثيق المعلومة بدليل أن أبا يعقوب إسحاق بن منصور قد دون عن أحمد بن حنبل مسائل في الفقه ، فلما بلغه أن أحمد بن حنبل رجع عن بعض تلك المسائل حملها في جراب على كتفه وسافر راجلاً – أى ماشياً على رجليه – إلى أحمد بن حنبل ثم عرض خطوط أحمد على كل مسألة استفتاه فيها فأقر له بها ثانية وأعجب به " (٣) ، وكان ابن عباس "يسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من

---

(١) كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة : **بغية الطلب في تاريخ حلب** ، تحقيق سهيل ذكار ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م ، ج ٦ ، ص ٢٥١١ .

(٢) عبد الرازق حسين : **الأطفال في التراث العربى** ، مرجع سابق ، ص ص ٧١ ، ٧٢.

(٣) الذهبى : **تذكرة الحفاظ**، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥٢٤ .

أصحاب النبى ﷺ " [١] ، كما كان ابن جريح يأتى هشام بن عروة فيقول: "يا أبا المنذر الصحيفة التى أعطيتها فلاناً هى حديثك؟ فيقول: نعم [٢].

(٣) معايير مرتبطة بالمعلمين:

تؤكد التربية الإسلامية على أن المعلم محور العملية التعليمية ، إذ بدونه لا يمكن أن يكون هناك تعليم جيد ، ومن هنا أكد المسلمون على أهمية أن يكون للتلميذ معلم يتتلمذ على يديه ، وجعلوا من أعظم البلية تشييخ الصحيفة ، بمعنى اتخاذ الكِتاب كمعلم أو تلقى العلوم مباشرة من الكتب دون توجيه من معلم ، وبلغ من أهمية الأستاذ أنهم قالوا: " لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب أو ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من آمر له ، وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه ، لا يجوز الاعتداد به " [٣] ؛ ولذلك كان أول ما يذكر من المرء أستاذه ، فإن كان جليلاً جل قدره [٤] ، ويقل قدر الرجل إن لم يكن له أستاذ جليل يأخذ على يديه وفي ذلك يقول أبو بكر محمد بن على الشاشي: "دخلت على ابن خزيمة فقال : يا بنى عَلَى

(١) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٤٤ .

(٢) ابن سعد كاتب الواقدى : **الطبقات الكبرى** ، تحقيق مجموعة من المستشرقين الألمان، دار الشعب ، القاهرة، د.ت ، ج٥ ، ص ٣٦٢ .

(٣) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين : **طبقات الصوفية** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٤) حاجى خليفة : **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** ، منشورات مكتبة المثنى، بغداد ، د . ت ، ج ١ ، ص ٤٦ .

مَنْ درستَ الفقه ؟ فسميت لـه أبا الليث ، فقال وعلى مـن درس ؟ قلـت : عـلى ابـن سريـج ، فقـال وهـل أخـذ ابـن سريـج العلـم إلا مـن كتـب مستعارة؟"[1] مما يؤكد على عدم الاعتداد بالعلم المأخوذ من بطون الكتـب إذ لم يرافق ذلك أستاذ جليل القدر يوجه ويصوب التلميذ .

وتتضح جودة التعليم الإسلامي أيضاً في الحرص عـلى اختيـار المعلـم واسع المعرفة ، محيطاً مادته العلمية متقناً لـهـا ، بـدليل أن المسلمين كـانوا يشترطون في المعلم أن يكون حاذقاً موسوعياً حتى أنـه لمـا قـدم محمـد بـن قحطبة الكوفة وقال : احتاج إلى مؤدب يؤدب أولادى حافظا لكتاب اللـه تعالى ، عالماً بسنة رسول اللـه ﷺ وبالآثـار والفقـه والنحـو والـشعر وأيـام الناس ، قيل لـه : ما يجمع هذه إلا داود الطائى "[2].

ومما يؤكد أن المعلم بصفة عامة كان حاذقاً موسوعياً قول أبى العبـاس أحمد بن يحيى كان على الأحمر بن المبارك مؤدب الأمين يحفظ أربعـين ألـف بيت شاهد في النحو ، سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب[3] ، وقول طاهر بن الحسين حين سار إلى خراسان وجلس مع مؤدب يدعى أبـا عبيد ، فلما انتهى من مجلسه معه قال : "وجدته أعلـم النـاس بأيـام النـاس والنحو واللغة العربية "[4].

وفي السطور القادمة سوف نتناول بعض الـسمات الخاصـة بـالمعلمين

---

(١) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٥٩ .
(٢) ابن خلكان : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
(٣) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٤ .
(٤) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤٩٣ .

والتى يكون لها تأثير مباشر على جودة التعليم إيجابا إن تمتع بها ، وسلبا إن قل نصيبه منها :

ضرورة أن يتمتع المعلم بالأخلاق الفاضلة :

أكدت التربية الإسلامية على ضرورة أن يتمتع المعلم بالأخلاق الإسلامية عامة وأخلاق المهنة خاصة وأن يختار المعلم الناصح النفس الحسب ، المأمون الغيبة ، العدل في الدين ، الكريم العرق ، الذي لا يخالط السلطان ولا يلابس الدنيا بشيء يشغله عن دينه [1] وأن يكون شفيقاً بتلاميذه كما اشترطت التربية الإسلامية في المعلم "أن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهد استطاعته ، ويربيهم كما يربى الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يحب تقديمه ، وينزل كل واحد منهم منزلته ، فذلك يدفعهم إلى الاشتغال والازدياد في التحصيل " [2] ، كما حرصوا أن يتمتع المعلم بمجموعة من القيم الخلقية وفي ذلك يقول صاحب أبجد العلوم "وأما اختيار الأستاذ فيختار الأعلم والأروع والأسن" [3] إضافة إلى ما تمتع به المعلم طوال العصور الإسلامية من الشفقة على المتعلم والتواضع وعدم التكبر والتسامح مع التلاميذ ، والمساواة في التعامل بينهم [4] ولا شك أن

---

(١) أحمد بن على القلقشندى : **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، تحقيق يوسف على طويل ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧م ، ج١١ ، ص ٩٧ .

(٢) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٤.

(٣) صديق حسن القنوجى: **أبجد العلوم** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٣١ .

(٤) جمال محمد الهنيدى : **الإعداد التربوى للطفل عند المسلمين** ، مؤسسة أم القرى=

للأخلاق دوراً كبيراً في التربية وتعد أحد مدلولات ومؤشرات الجودة الشاملة .

رعاية بعض الطلاب مالياً :

تتبين جودة التعليم فيما يخص إعداد المعلم من تبني المعلم المسلم للتلميذ الفقير مادياً فقد ثبت أن أبا حنيفة النعمان ﷺ كان يتعهد القاضي أبا يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بالصرف عليه طالما التزم حلقته [(١)] وكان جمال الدين محمد طاهر الهندي الملقب بملك المحدثين يتعهد أطفال المسلمين بالصرف عليهم ، إذ تؤكد المصادر أنه ورث من أبيه مالاً جزيلاً فأنفقه على طلبة العلم ، وكان يرسل إلى معلم الصبيان ويقول له : أيما صبي حسن ذكاؤه فأرسله إلي، فيرسل جماعته فيقول لكل واحد كيف حالك ؟ فإن كان غنياً أمره بطلب العلم ، وإن كان فقيراً قال له : تعلم ولا تهتم من جهة معاشك ثم يتعهده بجميع ما يحتاج إليه ، وكان هذا رأيه حتى صار منهم جماعة كثيرة علماء في فنون كثيرة " [(٢)] ولا شك أن قضاء حوائج الطلاب المالية تجعل أذهانهم خالية وصافية لتقبل العلم وإجادته وهو ما يعد مؤشرًا لجودة التعليم .

= للترجمة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م ، ص ص ١٦٠ : ١٧٣ .

(١) ابن خلكان : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٨٠ .

(٢) عبد الحي بن أحمد الدمشقي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، د.ت ، ج٤ ، ص٤١٠ .

العدل بين الطلاب :

تؤكد التربية الإسلامية على أهمية المساواة بين المتعلمين غنيهم وفقيرهم ؛ ولذا تروى لنا الآثار أن الإمام الزهرى كان لا يترك أحداً يكتب بين يديه فلما أكرهه الخليفة هشام ابن عبد الملك ليملى على بنيه ، نادى في المسجد طلبة الحديث ، فلما اجتمعوا إليه قال : إنى كنت منعتكم أمراً بذلته لأمير المؤمنين أنفاً ، هلموا فاكتبوا فكتب عنه الناس من يومئذ، وكان يقول كنا نكره ذلك حتى أكرهنا عليه الأمراء فرأيت أن لا أمنعه مسلماً"[1].

وتتبين جودة التعليم من معايشة بعد المساواة بين الطلاب عند التعامل، ويروى في ذلك قول أبى الفرج غيث بن على " حضرت الفقيه نصراً يوماً وهو يقرأ جزءاً فجاء في أثناء القراءة قوم وجاء بعدهم صبى صغير ، فلما فرغ الجزء سألوه أن يعيد الفائت فأعاد لهم ، فلما اتصل سماعهم أراد أن يمسك ، ثم قال : لا حتى أعيد فائت هذا الصغير ، لأننى أخاف أن أسأل عنه ، فكان هؤلاء أحق بالإعادة منه ، وأعاد له "[2] ولا شك أن للمساواة بين الطلاب في التعامل من قبل المعلمين أثراً بالغاً في النفس ، وما أصعب أن يميز المعلم بين الطلاب لحسب أو لمنفعة فلا شك أن لهذا آثاراً مدمرة على تلك الشخصية التي يقوم ببنائها .

الحرص على الوقت والعلم والتعلم :

القارئ للفكر الإسلامي التربوى يستطيع أن يلاحظ بجلاء حرص المعلمين على الاستفادة بوقتهم ، ويطول بنا الحديث لو ذهبنا ننقل من كتب

---

(١) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ص ٣٣٣ – ٣٣٤ .

(٢) ابن عساكر : **تاريخ مدينة دمشق** ، مرجع سابق ، ج ٦٢ ، ص ١٧ .

التراث ما يؤكد ذلك ؛ لذا نكتفي بذكر بعض الحوادث التي تؤكد صحة ما نذهب إليه من حرص المعلمين على استغلال أوقاتهم وإدراكهم أنهم يقفون موقف القدوة لطلابهم فلا أقل من بث روح الجد والحرص على الأوقات في نفوسهم ولذا كان " أبو الفتح سليم بن أيوب " يحاسب نفسه على الأوقات ، فلا وقتا يمر بغير فائدة ، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ "[1] ، وكان الشافعي ﷺ " قد جزأ الليل ، ثلثه الأول يكتب ، والثانى يصلى ، وثالث ينام "[2].

ويقول الذهبى عن أبى عمر بن العباس: أنه كتب طول عمره ، وروى المصنفات الكبار[3] ، أما إسماعيل بن إسحاق فإنه ما دخل عليه إلا رؤى ينظر في كتاب أو يقلب كتباً أو ينفضها ، ولم يكن في زمان عبد الله بن المبارك أطلب للعلم منه وكان يسأل عن كثرة استمراره في طلب العلم فقال له : إلى متى تتعلم ؟ فكان يقول: لعل الكلمة التي انتفع بها لم أسمعها بعد[4] .

وفي سيرة حياة عبد اللطيف البغدادى ما يؤكد حرصه على الوقت والعلم معاً إذ كان يبدأ عمله الأكاديمى بعد صلاة الفجر مباشرة محاضراً بالجامع الأزهر حتى الظهر تقريباً ، ثم يرجع إلى منزله يتناول الغداء وقسط من الراحة ويعاود الذهاب إلى الجامع الأزهر آخر النهار محاضراً من

---

(١) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج١٧ ، ص ٣٤٦ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص ٣٥ .
(٣) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، المرجع السابق ، ج١٦ ، ص ٤٠٩ .
(٤) المرجع السابق ، ج٨ ، ص ٤٠٧ .

جديد ، أما الليل فيقضيه في القراءة والبحث " ، ويعلق عبد الرحمن النقيب على سيرته قائلاً : وتكاد هذه أن تكون سيرة معظم أساتذة التعليم من حيث كثرة عدد الساعات التدريسية التي كانوا يقومون بها في سبيل نشر العلم وذيوعه .

إتقان المادة العلمية :

إن شيوع مفهوم الإتقان من أهم عوامل نجاح الجودة الشاملة ، وكيف يكون هناك جودة شاملة دون حذق وإتقان من قبل المعلم لمادته التعليمية ؟ ولذا نجد حرص المعلمين المسلمين على الجودة والإتقان حتى بلغ من إتقان أبى عبد الله الحكيم الترمذى للعلم أن وضع كتاب الفروق يفرق فيه بين المدارة والمداهنة والمحجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة والانتصار والانتقام وهلم جرا من أمور متقاربة المعنى [1].

ويصف أبو داود الخفاف دقة وإتقان ، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد قائلاً: " أملى علينا إسحاق من حفظة أحد عشر ألف حديث ، قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفاً ، وقال أبو زرعة مارؤى أحفظ من إسحاق ، وقال عنه أبو حاتم : العجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ " [2] .

ولعل أحد مؤشرات الإتقان هو التوسع في الموضوع لكثرة المراجع،

---

(١) طاش كبرى زادة : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣٠٩ .

(٢) الداودى : **طبقات المفسرين** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ١٠٤ .

ولذا تروى لنا كتب الآثار أن أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى كان إذا ذكر التفسير ذكره من مائة وسبعة تفاسير "[1] ، وعقد – أي أبو إسماعيل الأنصارى – ثلاثمائة وستين مجلساً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء][2] ، وجلس الحسن بن أبى الحر بسلماس عدة أشهر وهو في تفسير آية وما يتعلق بها ثم قال لا لأهل سلماس لو بقيت عندكم تمام سنة لما تعرضت لغيرها والحمد لله[3].

ومما يؤكد إتقان المعلمين لمادتهم العلمية أن أبا بكر محمد بن منصور بن محمد كان يملى في مجلس وعظه الأحاديث بأسانيدها ، فاعترض عليه بعض المنازعين ، وقال محمد السمعانى : يصعد المنبر ويعد الأسامى ونحن لا نعرف ولعله يضعها في الحال ، وكتب هذا الكلام في رقعة وأعطيت له بعد أن صعد المنبر فنظر فيها وروى حديث "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار "[4] ثم قال : إن لم يكن في هذا البلد أحد يعرف الحديث فنعوذ بالله من المقام في بلد ما فيها من يعرف الحديث ، وإن كان فليكتب عشرة أحاديث بأسانيدها ، ويترك اسما أو اسمين من كل إسناد ويخلط

---

(١) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج١٨ ، ص ٥٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، والجزء ، ص ٥١٤ .

(٣) المرجع السابق ، والجزء ، ص ٤٢ .

(٤) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٢٢٩٨ ، حديث رقم ٣٠٠٤ ، باب التثبت في الحديث وحكم كتاب العلم .

الأسانيد بعضها ببعض ، فإن لم أميز بينهما وأضع كل اسم منهـا في مكانـه ، فهو كما يدعيه ، وفعلوا ذلك امتحاناً فرد كل اسم إلى موضعه [1] .

وبلغ من إتقان الإمام البخارى للحديث أنه كان بسمرقند أربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام ، وأحبوا مغالطة محمد بن إسـماعيل ، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد اليمن في إسـناد الحـرمين ، فـما تعلقـوا منـه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن " [2].

لقد كان دأب العلماء إتقان المادة العلمية من قرآن أو حديث أو غيره ، ومما يروى في ذلك أيضا أن أبا جعفر محمد بن عمرو العقيلى كان يقـول إذا أتاه بعض نفر يقرءون عليه: اقرأ من كتابك ولا يخرج أصلـه ، فقال مسلمة بن القاسم : فتكلمنا في ذلك وقلنا إما أن يكون من أحفظ الناس ، وإمـا أن يكون من أكذب الناس ، فاجتمعنا فاتفقنا على أن نكتب لـه أحاديـث مـن روايته ، ونزيد فيها وننقص فآتيناه لنمتحنه ، فقال لى : أقرأ ، فقرأتها عليه ، فلما أتيت بالزيادة والنقص فطن لذلك ، فأخذ منى الكتـاب وأخـذ القلـم فأصلحها من حفظه ، فانصرفنا من عنده ، وقد طابت نفوسنا ، وعلمنا أنـه من أحفظ الناس " [3].

ولذلك اتسم المعلـم المسلم طـوال أيـام حـضارتنا بالثقـة في الـنفس والقدرة على اجتياز الاختبارات دون رهبة أو خـوف ، بـل كـان كثـيراً مـا

---

(١) الداودى : **طبقات المفسرين** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٦١ .
(٢) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج١٢ ، ص ٤١١ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٥ ، ص ٢٣٧ .

يطلب من مريديه أن يقوموا باختبـاره ، بـدليل قـول الأزهـري : " كنـت أحضر عند أبي عبد اللـه الحسين بن أحمد ابن بكير وبين يديه أجزاؤه فأنظر فيها فيقول : أيها أحب إليك ، تذكر لي متن ما تريد من هذه الأجـزاء حتـى أخبرك بإسناده ، أو تذكر إسناده حتى أخبرك بمتنه ، فكنت أذكر لـه المتون فيحدثني بأسانيدها كما هي حفظاً ، فعلت هذا معه مراراً " [1].

وكان أبو عبد اللـه محمد بن عبد اللـه الصوري يقول لتلاميذه : " إنما صرت معكم على غير موعـد فـانظروا إلى أي حـديث شـئتم مـن حـديث رسول اللـه ﷺ اقرؤوا إسناده لأقرأ متنـه ، أو اقـرؤوا متنـه حتـى أخـبركم بإسناده " [2] ، أنها لثقة في مادته وعلمه وإتقانه وهـي مـن أهـم مـؤشرات الجودة الـشاملة ، إضـافة إلى مـا كانـت تأخـذ بـه الدولـة الإسـلامية – في العصور المتأخرة – من ضرورة إجـازة المعلمـين والفقهـاء والوعـاظ وإلا مُنعوا من الوعظ والتدريس [3].

ومما يدل على ضرورة هذا الامتحان لكل من يريد الاشتغال بالتدريس والفتوى قول أحمد بن حنبل لصالح بن زياد السنوسي عنـدما سألـه عـن الإمام يخاف أن يمتحن على الامامة ؟ قال : "يتركها ، فقال صالح : فالمؤذن يخاف أن يمتحن على الآذان ؟ قال: يتركه " [4] مما يدل على ضرورة اجتيـاز

---

(١) الذهبي : **تذكرة الحفاظ** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٠١٨ .

(٢) الذهبي : **تذكرة الحفاظ** ، المرجع السابق والجزء ، ص ١١١٦ .

(٣) جمال محمد الـهنيدي : **الإعـداد التربـوي للفقيـه عنـد المسلمين** ، مكتبـة الرشـد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٧٧ .

(٤) القاضي أبو الحسين بن محمد بن أبي يعلى : **طبقات الحنابلة** ، دار المعرفة ، بيروت ،=

المعلم والواعظ لامتحان يؤهلـه للعمل بالوعظ والتدريس .

وإذا كان هذا الامتحان ضرورة فيما يخص العلوم الشرعية والتربوية فإنه أيضاً كان ضرورة للعلوم الطبيعية إذ كان عالم العلوم الطبيعية لا يجاز إلا بعد اختبار امتحان يوضح قوة علمه وحذقه في مهنته " فمن كان خبيراً بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير أذن لـه المحتسب بالتصدى لمداواة أعين الناس " (١) .

وفي الحسبة على البياطرة يقول ابن الأخوة: "ينبغى للبيطار أن يكون خبيراً بعلل الدواب ومعرفة ما يحدث فيها من العيوب ، ويرجع الناس إليه إذا اختلفوا في الدابة " (٢) مما يؤكد على أهمية الإجازة لأنها توضح مدى تمكن الفرد من علمه وحذقه لـه .

كثرة المؤلفات :

لعل من مؤشرات الجودة الشاملة فيما يخص المعلمين هى كثرة المؤلفات والآثار التي يتركها المعلمون ، والناظر لعلماء المسلمين ليلحظ بجلاء كماً كبيراً من المؤلفات حتى أن أبا جعفر الطبرى محمد بن جرير الطبرى قسمت مصنفاته على مدى عمره بعد سن البلوغ فصار لكل يوم أربعة عشر ورقة ، وحكى أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة ، ولا منافاة بين الروايتين كما لا يخفى على المتأمل (٣) وكان

= لبنان ، د.ت ، ج١ ، ص١٧٦ .

(١) ابن الإخوة : **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٣) راجع : - طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات** =

ابن سينا يؤلف كل يوم خمسين ورقة (١) ، ومما يؤكد على كثرة مؤلفات أبي الحسن عبد الوهاب بن جعفر بن على الميداني ما روى عنه من أنه " قد كتب بمائة رطل حبر " (٢) ولا يخفى على أحد أن كثرة المؤلفات للمعلمين لهي إحدى دلائل الجودة الشاملة في التعليم .

الاعتراف بعدم العلم :

لقد ركز في الحس الإسلامي أن من سأل عن علم لا يعلمه قال: لا أدرى والله أعلم ، ذلك لأن من إكرام المرء نفسه ألا يقول إلا ما أحاط به علمه (٣) ؛ ولذا حرص المعلمون المسلمون على توريث طلابهم قول لا أدرى فيقول عبد الله بن يزيد بن هرمز: " ينبغى للعالم أن يورث جلساءه قول لا أدرى " (٤).

ومما يؤكد على وقوف المعلم المسلم عند حدود علمه ما روى من سيرة الوالد السعيد أبى يعلى إذ كان يدرس مختصر المزنى وقراءة القرآن على ابن

= **العلوم** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣١٦ .
- الذهبى : **تذكرة الحفاظ** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٧١١ .
- أبو بكر بن محمد بن عمر بن محمد ، تقى الدين ابن قاض شهبة الدمشقى (١٧٩هـ-٨٥١م) : **طبقات الشافعية** ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه حافظ خان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد التركية ، الهند ، ١٣٩هـ/ ١٩٧٨م ، ج١ ، ص١١٣ .

(١) الذهبى : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٥٣٣ .
(٢) المرجع السابق والجزء ، ص ٥٠٠ .
(٣) المرجع السابق ، ج٥ ، ص ٥٧ .
(٤) المرجع السابق ، ج٨ ، ص ٨٥ .

مفرحة المقرئ ، فلقن الوالد السعيد ما جرت العادة بتلقينه من العبادات فاستزاد الوالد السعيد فقال ذلك الشيخ : هذا القدر الذي أحسنه فإن أردت زيادة فعليك بالشيخ أبي عبد الله بن حامد (١) .

كما روى هشام بن سعد عن الزهري قوله : " كنت أجالس عبد الله ابن ثعلبة بن صعير العذري أتعلم منه نسب قومي ، فأتاه رجل جاهل يسأله عن المطلق واحدة واثنتين ثم تزوجها رجل ودخل بها ثم طلقها ، على كم ترجع إلى زوجها الأول ؟ قال : لا أدري " (٢) وسئل عطاء عن شيء فقال . لا أدري (٣) .

فهم نفسية التلميذ :

كما كان المعلم يعايش الطفل ويفهم نفسيته وطريقة تفكيره ، ومن ثم يراعى هذه النفسية، بدليل قول جعفر السراج: " حضرت عند أبي القزويني يوماً للسماع إلى أن وصلت الشمس إلينا وتأذينا بحرها فقلت في نفسي : لو تحول الشيخ إلى الطفل فقال في الحال : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨١] ، ومما يؤكد فهم نفسية التلميذ من قبل المعلم أنهما كانا إذا مل من علم اشتغلا بآخر" (٤). ولا شك أن فهم نفسية التلميذ لتعد إحدى دلائل جودة التعليم .

---

(١) القاضي أبو الحسين : **طبقات الحنابلة** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٩٤ .
(٢) ابن سعد : **الطبقات الكبرى** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٣١ .
(٣) المرجع السابق ، ج٧ ، ص ١٢٤ .
(٤) صديق حسن القنوجي: **أبجد العلوم** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٤١ .

(٤) معايير مرتبطة بالمناهج وطرق التدريس :

بداية نستطيع القول بأن الأهداف التربوية تترجم في مضامين علمية تشكل في مجموعها حقائق ومعلومات وبيانات ومهارات ومفاهيم ومشكلات ، لهذا فإن عملية اختيار المحتوى لا يمكن أن تتم بمعزل عن الأصول التي يتم الاستناد عليها في عملية تحديد الأهداف ، لا سيما وأنها تعبر عن النهايات التي ينشد وصول المتعلم إليها بعد مروره بالخبرات التعليمية المخططة التي يشملها المحتوى التعليمي ، وقد عرف مدكور المحتوى التعليمي الذي تتحقق من خلاله أهداف التربية الإسلامية بأنه : "مجموع الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة التي يمر بها المتعلم ويتفاعل معها " ، وفي ضوء ذلك فإن المعرفة التي ينبغي أن يتضمنها المحتوى التعليمي تشمل:

١ – معرفة مرتبطة بالكون وما فيه من ظواهر وأحداث طبيعية .

٢ – معرفة تتعلق بالإنسان من حيث علاقته بالكون المحيط به وخصائص نموه في كافة المجالات [١].

معنى ذلك أن منهج التربية الإسلامية قد يتفق مع بعض مناهج العالم في كثير من التفصيلات والفروع ، ولكنه يختلف عنها – قطعاً – في القواعد والأصول التي ينبثق منها ، فمعظم المناهج تهتم – مثلاً – بدراسة العلوم والرياضيات ، وكذلك يفعل منهج التربية الإسلامية ، إلا إن كثيراً من بلاد الدنيا قد تهتم بتدريس هذه المناهج لا لترقية حياة المواطنين في مجتمعاتها

---

(١) نقلا عن : محمد عبد الفتاح شاهين، إسماعيل شندى : **جودة التعليم من منظور إسلامي**، مرجع سابق ، ص ١٢ .

فقط ، ولكن لاستغلال تطبيقاتها التقنية في صنع أدوات الحرب والدمار ، ولا للدفاع عن النفس فقط بل وللاعتداء على حقوق الآخرين وحرمانهم أيضاً .

والناظر حوله يرى حروباً مدمرة لكل من على وجه الأرض ، هذه الحروب تمولها وتغذيها مجتمعات تقدمت في تطبيقاتها التقنية للعلوم والرياضيات لكن منهج التربية الإسلامية إنما يهتم بهذه المواد والدراسات لتزويد الإنسان المسلم بالمعلومات والمهارات والتجارب التي تمكنه من عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله ، والقيام بحق استخلاف الله له فيها أينما وجد وحيثما وجد [1]

ومعظم المناهج تهتم بدراسة التاريخ والجغرافيا ، وكذلك يفعل منهج التربية الإسلامية ، إلا إن معظم هذه المناهج تهدف إلى تربية العزة القومية والنعرة الوطنية وتخليد المثل والنماذج التاريخية لتقوية الاتجاهات العنصرية، لكن منهج التربية الإسلامية يؤكد على عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانيتها التي قررها الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧)﴾ [التكوير] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء].

فمنهج التربية الإسلامية لا يهدف إلى إعداد المواطن الصالح، وإنما يسير وفق ما تقتضيه عالمية الإسلام ، فيسعى إلى تحقيق هدف أكبر وأشمل وهو إعداد الإنسان الصالح أيا كان موطنه ، الإنسان القادر على القيام بحق الخلافة ، وحق الخلافة لدى الإنسان هو المساهمة بإيجابية وفاعلية في عمارة

(١) على مدكور : **نظريات المناهج التربوية** ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

الأرض وفق منهج الله [1].

وللوصول إلى مناهج إسلامية تحقق الهدف الإسلامي راعى المسلمون إنسانية الإنسان وجودة المحتوى والفكر بدليل تولى يحيى بن خالد بن برمك لولده " اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون " [2].

ولجودة المنهج الإسلامي ومراعاته لنفسية الإنسان وحاجاته ، كان يُحدِثُ إشباعا للفرد ، وإحساسا باللذة ، وفي ذلك يقول أبو الفرج بن الجوزي : " كنت في حلاوة طلب العلم ألقي من الشدائد ما هو أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو ، وكنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى – في بغداد – فلا أقدر على أكلها إلا عند المساء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين هامتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم " [3].

وربما يرجع لذة المنهج في أحد أسبابه إلى أن المسلمين كانوا يدفعون بأبنائهم إلى الكتاب إذا عقل حتى ولو كان دون الخمس سنوات وفي ذلك يقول ابن عربي : " وللقوم في التعليم سيرة بديعة ، وهو أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب ، وقد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة وأهل طليطلة " [4] وشتان بين أن ينشأ الطفل منذ الصغر معتاداً

---

(١) على مدكور : **نظريات المناهج التربوية** ، المرجع السابق والصفحة .
(٢) الإمام ابن كثير : **البداية والنهاية** ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص١٧ .
(٣) عبد الرازق حسين : **الأطفال في التراث العربي** ، مرجع سابق ، ص ص ٧١، ٧٢ .
(٤) أبو بكر بن عربي : **أحكام القرآن** ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٣١هـ ، ج٣ ، ص٢٩١ .

على الكتاب والدراسة وبين أن ينشأ بعيدًا عنه .

وربما ترجع لذة المنهج إلى إلحاق المسلمين الفرد بالصنعة أو العلم الذى يقبله طبعه وفي ذلك يقول ابن سينا: " ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويختبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك "[1]، ويقول في موضع آخر : "وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه إذ ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ؛ ولذا كان على المعلم أن يزن أولاً طبع الصبي ويختبر قريحته وذكاءه ثم يختار له الصناعة بحسب ذلك [2].

وربما ترجع لذة المنهج إلى تطبيق نظام اليوم الدراسي الكامل إذا كان "الصبي يذهب مبكراً إلى الكتاب فيحفظ القرآن ثم يتعلم الكتابة وعند الظهر يعود إلى المنزل لتناول الغداء ثم يرجع بعد الظهر ويظل حتى آخر النهار " [3] ، ويؤكد هذا قول محمد بن يحيى بن سعيد " كنت أخرج من البيت أطلب الحديث فلا أرجع إلا بعد العتمة " [4] ، وثمة دليل آخر على تطبيق نظام اليوم الكامل الذي يسمح للمعلم بجودة صياغة التلميذ — إن صح هذا التعبير – " قول أبى حاتم سألنا عمرو بن عاصم الكلابى أن

---

(١) محمد كمال طه الحسينى : **الاتجاه البولتكنيكى في التربية الإسلامية** ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ نقلاً عن ابن سينا : كتاب السياسة ، ص ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

(٢) أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية في الإسلام** ، "دراسات في التربية" ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٣م ، ص٢٣٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٤) الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص١٨٣ .

يقرأ علينا الموطأ ، فقال: تعالوا بالغداة ، فقلت : لنا مجلس عند حجاج بن منهال ، قال : فإذا فرغتم منه ، قلنا : نأتي حينئذ مسلم بن إبراهيم ، قال : فإذا فرغتم قلنا : نأتي أبا حنيفة النهدى ، قال : فبعد العصر ، قلنا : نأتى عارماً أبا النعمان ، قال: فبعد المغرب ، فكان يأتينا بالليل فيخرج علينا " (١)

وربما تعود لذة المنهج وجودته إلى تمتع المنهج الإسلامي بجزء من الترفيه ؛ فالإسلام بصفة عامة يأمرنا بالعلم والعمل بمجرد انتهاء الصلاة ، فليس للصلاة إلا وقتها المعلوم ولذلك يقول تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح] فإذا وصل الإنسان إلى إجهاد آنس إلى راحة لتفريغ شحنة التعب ثم العودة إلى العمل الناصب مرة أخرى وهكذا ، ومن هنا نستطيع أن نلحظ حرص المسلمين على راحة الطالب المسلم فجعلوا يوم الجمعة راحة من المكتب وذلك في كل أسبوع ، استعداداً لصلاة الجمعة ثم اقترح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يصرف الطلاب ظهر يوم الخميس ليستعدوا ليوم الجمعة فكان نظاماً متبعاً إلى يومنا هذا (٢) .

وربما تعود لذة المنهج وجودته في جزء منه إلى تعدد طرق ووسائل التربية ما بين التربية بالحفظ ، والتربية بضرب الأمثال ، والتربية بالأحداث الجارية ، والتربية بالقصة والتربية بالقدوة ، والتربية بملء الفراغ ، والتربية بالممارسة العملية ، والتربية بالرحلة ، والتربية بالموعظة ، والتربية بالقراءة على المعلم ، والتربية بالملازمة ، والتربية بالمجالسة ، والتربية بالمصاحبة ،

---

(١) الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص٢٦٠ .
(٢) عبد الرحمن النحلاوى : **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع** ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص ١٣١ .

والتربية بالسماع ، والتربية بالمذاكرة ، والتربية بالحوار .... وغير ذلك من أساليب التربية [1] .

وتبدو جودة المنهج في إعطائه الحرية للطفل داخل المدرسة وداخل الأسرة حيث أعطت المتعلم الحرية في اختيار دراسة مناهج متعددة يختار من بينها ما يتناسب مع ميوله ، وحين أعطته الحرية في دراسة بعض أجزاء هذه المناهج دون إتمامها فلم يكن – على سبيل المثال – حفظ القرآن جميعه واجباً على كل الصبيان ، بل جرى العرف أن من أحب استظهار القرآن كله بقى مع المعلم ، ومن أحب أن يترك الكتاب قبل استكمال جميع القرآن فله الحرية في ذلك ، وهو ما ذهبت إليه الدول المتقدمة المعاصرة . ففى الجامعة الافتراضية البريطانية يختار الطلاب من المناهج الموجودة أصلاً في التعليم العالي [2] وشتان بين أن ينشأ الطفل منذ الصغر على الحرية اختيار المناهج وبين أن يجبر عليها .

وفي نطاق الأسرة تَمَتَّعَ الطفل بالحرية الكاملة فكان له أن يناقش أبويه، وأن يبدى وجهة نظره دون أي استهجان وفي ذلك يقول الهيثم بن صالح لابنه : " يا بنى : إن أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، وإن أكثرت من الكلام أقللت من الصواب ، قال : يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت يعنى كلاماً وصواباً ، قال : يا بنى ما رأيت موعوظاً أحق بأن

(١) جمال محمد الهنيدى : **الإعداد التربوي للطفل عند المسلمين** ، مرجع سابق ، ص ص ١٣١ : ١٧٢ .

(2) see : Micneal Aibbons : **Virtual Uuniversities** , No . 14 & 15,1998 www.Iota.org/faee 98/virtnalu.ntml.

يكون واعظاً منك " [1] .

وتبدو جودة المنهج الإسلامي في أنه يراعى طاقة الإنسان ولا يكلفه بشيء لا يستطيعه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٨٦] مع مراعاة أن العمل المطلوب لا يتوقف عند سقف أدنى وإنما يمتد ليشمل كل ما يستطيعه الإنسان ومع مراعاة القدرات المختلفة للأفراد ؛ لذا نجدهم في نطاق التعليم " قسموا المنهج إلى عدة أقسام ليسهل على الطفل دراسته وحفظه إذ من الثابت أن المصاحف العثمانية كانت مجردة من التجزئة ، كما كانت مجردة من النقط والشكل ، ولما امتد الزمان بالناس جعلوا يتفننون في المصاحف وتجزئتها عدة جزيئات مختلفة الاعتبارات ، فمنهم من قسم القرآن ثلاثين قسماً وأطلقوا على كل قسم منها اسم جزء ، بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره ، وأوجدوا بيد الصغار أجزاء مستقلة من القرآن، وقاموا بتقسيم الجزء إلى جزءين ، ثم قسموا الحزب إلى أربعة أجزاء سموا كل واحد منها ربعاً ، ومن الناس من وضعوا كلمة خمس عند نهاية كل خمس آيات من السورة ، وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات منها .. والغرض هو التيسير والتسهيل " [2] ليتمكن الطلاب من حفظ الكم الذي يتناسب وقدراتهم.

وفي تدريس حديث رسول الله ﷺ نجد معلما يقوم بتدريس أحاديث

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر : **البيان والتبيين** ، تحقيق فوزي عطوى ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ ، ج١ ، ص١٤٣ .

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ٢٨٣ .

في مجلس واحد بدليل قول خالد : " كنا نأتي أبا قلابة الجرمى فإذا حدثنا ثلاثة أحاديث قال : قد أكثرت " (١) بينما نجد آخر لا يتم الحديث الواحد في جلسة واحدة وفي ذلك يقول أبو الحسن بن الطيورى : " كنا نمشى في قراءة الحديث فيبقى من الجزء بقية فنحرص لنتمه ، فيقول أبو طالب العشارى – المعلم – أنا لا أقوله لكم حتى تمسوا عندي ، علموا على الموضع (٢) وكل ذلك مراعاة للقدرات المختلفة للأفراد .

وتبدو جودة المنهج الإسلامي عندما راعت التربية الإسلامية الفروق الفردية بين التلاميذ وعندما ركزت على أن " لا يخوض المعلم في فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم ، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه " (٣) .

ولحرص المسلمين على الإتقان والجودة في التعليم كانوا لا يكتفون بتسميع القرآن مرة واحدة وهو ما يعرف بالختمة ، إنما كانوا يكررون تسميعه عدة مرات ، وفي ذلك يقول أبو جعفر الخولانى : " قرأت القرآن على ابن هلال ثلاثمائة ختمة " (٤) ويقول ابن زكوان عبد الله بن بشر : أقمت على الكسائى سبعة أشهر وقرأت عليه القرآن غير مرة " (٥) .

ولا شك إن من أهم الوسائل التي تؤدى إلى إتقان الدرس هو تكرار المعلومة أكثر من مرة ، وقد استشف المسلمون أهمية التكرار في القرآن

(١) ابن سعد : **الطبقات الكبرى** ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ١٣٤ .
(٢) القاضي أبو الحسين : **طبقات الحنابلة** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٩٢ .
(٣) أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية في الإسلام** ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦ .
(٤) ابن الجزرى : **غاية النهاية في طبقات القراء** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٦٠ .
(٥) المرجع السابق ، ج١ ، ص٤٠٥ .

الكريم ومن حديث رسول الله ﷺ فقد كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاث مرات حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً " (١) .

ورغبة في وصول التربية الإسلامية إلى جودة التعليم عرفت وظيفة المعيد – أو العريف – في العصور الإسلامية الزاهرة ، وكانت وظيفته إعادة الدرس على المتعلمين ومساعدتهم في فهم ما غمض عليهم ، كما كان يقوم بحفظ النظام في الحلقة إن احتاج الأمر ، معنى ذلك أنه من احتاج إلى إيضاح شيء أو فهمه عاد في ذلك إلى المعيد ، ومن أجل ذلك كان المعيد يجلس إلى جانب المدرس ليعرف سير الدرس فيوضح ما خفي عنه (٢) .

كما تتضح جودة المنهج الإسلامي في تشجيعها التلميذ المصيب : فكما نعرف أن تشجيع التلميذ إذا أجاد وأصاب على ما أصاب له في النفس من الوقع الكثير . إذ حين يذوق حلاوة النجاح والتشجيع من قبل المعلم يحرص – على أقل تقدير – على عدم الخطأ ، وفي ذلك يقول ابن جماعة : "فمن رآه – المعلم – مصيباً في الجواب ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب العلم " (٣) .

ونستطيع أن نتبين جودة طريقة التدريس في التربية الإسلامية من

---

(١) الإمام البخاري : **صحيح البخاري** ، مرجع سابق ، ص ٤٦ كتاب العلم "باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه " .

(٢) جمال محمد محمد الهنيدى : **الإعداد التربوي للطفل عند المسلمين** ، مرجع سابق ، ص ص ١١٣ : ١١٤.

(٣) ابن جماعة الكناني: **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص٥٤ .

دعوتها للمعلم بمراقبة أحوال الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطناً وظاهراً من ارتكاب مكروه ، أو محرم أو ما يؤدى إلى فساد حال ، أو ترك اشتغال ، أو إساءة في حق الشيخ أو غيره أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة أو حرص على كثرة الكلام ، أو معاشرة من لا يليق عشرته ، أو غير ذلك ... عرض الشيخ – المعلم – بالنهى عن ذلك بحضور من صدر منه غير معرض به ولا معين له ، فإن لم ينتهج طريقة التأديب ، نهاه عن ذلك سراً ، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهراً ، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره ، ويتأدب به كل سامع فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع ، ولا سيما إذا خاف المعلم على بعض رفقائه وأصحابه من الطلبة موافقته " [1] .

وشيوع مفهوم العلم وضروراته وأهميته في حياة الأفراد هو أحد متطلبات تحقيق الجودة الشاملة ، ذلك العلم الذي يؤدى بصاحبه إلى ارتقاء أعلى المناصب بدليل قول يوسف عليه السلام " قال: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾ [يوسف] ، " وقد سأل المكانة بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال " [2] ، العلم المقترن بالعمل لا العلم النظري حتى أن المجتمع الإسلامي اشترط على من باع معرفة ما عينه الله وشرعه في البيع ، ومن أجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله في الإجارة، ومن قارض وجب عليه أن يتعلم حكم الله في القراضة ، فلا يجوز الشروع في

(١) ابن جماعة الكناني: **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ،المرجع السابق ، ص ص٦٠ ، ٦١ .

(٢) الإمام القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، مرجع سابق ، ج٩ ، ص٢١٦ .

شيء حتى يعلم ، فيكون طلب العلم واجب على كل حالة ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب : لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا في الدين " [١] مما يؤكد اقتران العلم بالعمل في الإسلام

ولذلك لا يعتمد المجتمع المسلم بالعلم النظري دون العملي ، بل كانوا يفرضون التدريب العملي بعد العلم النظري حتى أنه " من أراد تعلم الفصد كان عليه أن يدمن فصد ورق السلق ، أعني العروق التي في الورقة حتى تستقيم يده ، وكان يفرض على الفاصد أن يمنع نفسه من عمل صناعة مهنية تكسب أنامله صلابة وعسر حس ، لا يتأتى معها فصد العروق " [٢].

ولاهتمام المسلمين بجودة التعليم في جميع جوانبه نلحظ اهتمامهم بتعليم الطفل حتى براية القلم ، وفي ذلك يقول إبراهيم بن محمد الشيباني : " يجب أن يكون البرى من جهة نبات القصبة ، يعنى من أعلاها إذا كانت قائمة على أصلها ، فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ، ويقول أبو القاسم : إذا أخذ القلم ليبريه فلا يخلو من استقامة في البيئة أو اعوجاج في الخلقة ، فإن كان مسنوناً فالبرية من رأسه ، وهو حيث استدق ، وإن كان معوجاً ودعت الضرورة إليه ، فالبرية من أسفله لأن أسفله أقل من أعلاه " [٣].

---

(١) جمال محمد محمد الهنيدى : التربية المهنية والمعرفية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٩٨ .

(٢) عبد الرحمن الشيرازى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص٨٩ .

(٣) القلقشندى : **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٤٨٧ .

(٥) المعايير المرتبطة بجودة المبنى المدرسي :

تتضح جودة التعليم في الإسلام من خلال حجم المساهمات الشعبية التي يسرت بناء المدارس ، فقد تبين من خلال قراءتنا لكتب التراث أن كثيراً من الأثرياء قاموا ببناء المدارس منهم – على سبيل المثال لا الحصر – فرج بن عبيد الله بن خلف الذي بنى مدرسة يدرس فيها بجوار أذربيجان بعد أن تلقى العلم على يد أبي إسحاق الشيرازي ببغداد (١) ، كما بنى عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بحلب مدرسة (٢).

كما ساهم الحاكم في بناء المدارس أيضاً بدليل ما ذكر من أن الظاهر بيبرس ابتنى المدرسة الظاهرية بين القصرين أوائل (٦٦٢هـ) بجوار المدرسة الصالحية ، ثم ابتنى المنصور قلاوون المدرسة المنصورية (٣) .

ولم تكن تبنى المدارس لتقوم بدورها دون لمسات جمالية ، فقد اعتنى المسلمون بالنواحي الجمالية في بنائهم للمدارس بدليل قول عبد العظيم المنذرى : " نقلت من خط عبد الوهاب بن توهيب لله در العادل المرتجى ذي العز والتأييد والنصر ، بنى لنا مدرسة لم يبن في مثلها " (٤).

وتتحدث المراجع الإسلامية عن الميضأة بالقرب من المساجد للتوضئة

---

(١) أحمد بن محمد السلفي : **معجم السفر** ، تحقيق عبد الله عمر البارودى ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، د.ت ، ج١ ، ص٣٣٢ .

(٢) ابن عساكر : **تاريخ دمشق** ، مرجع سابق ، ج٣٤ ، ص٣٠٦ .

(٣) جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ج٢٧ ، ص١٣٠ .

(٤) أحمد بن محمد السلفي : **معجم السفر** ، مرجع سابق ، د.ت ، ج١ ، ص٢١٩ .

منها والشماسات "ظلة خشبية" تقام فوق الأبواب والنوافذ لتحمي الداخل إليها من الشمس والمطر ولتضيف إليها عنصرًا جغرفيًا جماليًا ، والفسقيات المملوءة بالمياه وسط المسجد أو المدرسة لتطليق حرارة الجو أو خشية أن يحدث حريق في الليل ، والحمامات للاستحمام والمطابخ للطهي والساعات لمعرفة الوقت وتزيين المباني واللوحات القرآنية تحلي العمد والجدران بزخارفها الجميلة والشبابيك النحاسية ذات الأشكال الهندسية الرائعة [1] .

(٦) المعايير المرتبطة بالخريجين

اعتنى الإسلام بالمنتج النهائي بدليل دعوة الإسلام إلى إعمار الأرض وزراعتها وجعل ذلك عملاً إسلامياً دعا إليه إلا إنه "نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها نهى البائع والمبتاع" [2] ؛ لأن المنتج النهائي لا يجوز أن يباع إلا أن يتمتع بمستوى من الجودة وإلا أصبح البيع فاسداً .

وفي نطاق التعليم أصدر رسول الله ﷺ يوم بدر على أن يفادى بالأسرى على قدر أموالهم " وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه [3] " ، ونلحظ هنا أن شرط الجودة أو الحذق أو الإتقان هو أساس ليكون الفداء مما يعنى عناية الرسول ﷺ بجودة

---

(١) عبد الرحمن النقيب : **مفهوم الجودة الشاملة ، الأصول الإسلامية والغربية** ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) الإمام مسلم : **صحيح مسلم** ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٥٧ ، حديث رقم ٣٤ ، باب النهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بغير شرط القطع .

(٣) ابن سعد: **الطبقات الكبرى** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٢ .

التعليم ، وجعله شرطاً للفداء بدليل لفظ الحديث فإذا حذقوا ... ".

" ويقول أبو العيسى بن حمدون : قال لى عمرو بن بانة علمت عشرة غلمان كلهم تبينت منهم الثقافة والحذق " (١).

بل صارت الجودة في التعليم هي أساس لأخذ الأجر على التعليم بدليل قول يحيى بن سعيد بن أخي الحسن: " لما حذقت قلت : يا عماه إن المعلم يريد شيئاً قال : ما كانوا يأخذون شيئاً ، ثم قال : أعطه خمسة دراهم ، قال : فلم أزل به حتى قال : أعطه عشرة دراهم " (٢) مما يعنى أهمية الحذق كشرط للاعتراف بالخريج .

وكذلك لما حذق المعتز القرآن دعا المتوكل شفيعاً الخادم بحضرة الفتح بن خاقان ثم أخرج من خزانة الجوهر جوهراً بقيمة مائة ألف دينار في عشر صوان فضة للنسار... " (٣) .

وكان الإتقان شرطا أساسياً في التعليم بدليل قول إبراهيم بن جابر المروزى: كنا نجالس أبا عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله – فتذكر الحديث ونحفظه ونتقنه " (٤) ، وقول عبد الله بن مسعود : " لقد تلقيت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة أحكمتها " (٥) وقول محمد بن عبد الله

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى: **الأغانى** ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ ، ج١٥ ، ص٢٦١ .

(٢) ابن سعد : **الطبقات الكبرى** ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ص١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) ابن عساكر : **تاريخ مدينة دمشق** ، مرجع سابق ، ج١٨ ، ص٣١٥ .

(٤) القاضي أبو الحسين : **طبقات الحنابلة** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٩٣ .

(٥) أبو نعيم الأصبهانى : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٢٥ .

الكسائي : لازمت القاسم بن أحمد بن حسن حتى قرأت عليه وأتقنت قراءته " [1].

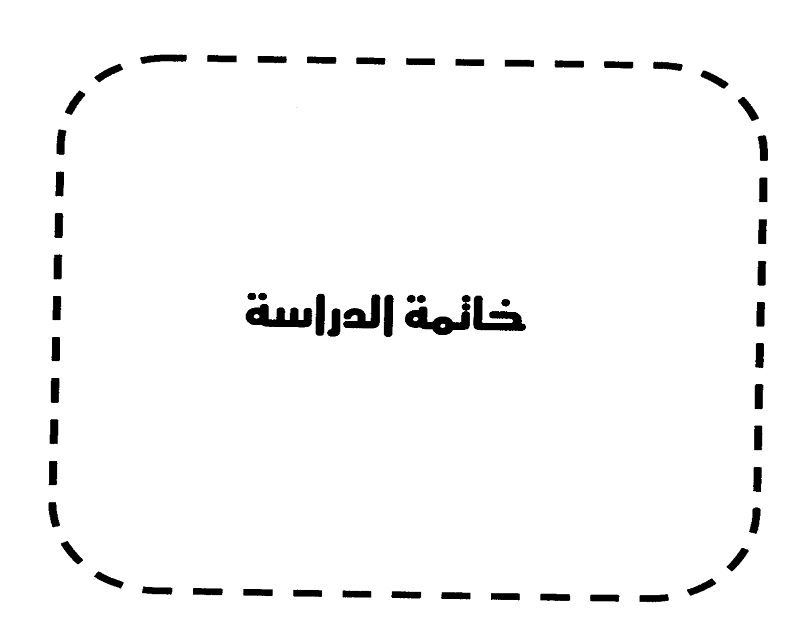
ويترجم ابن الجزري ليوسف بن عمر بن سيار قائلاً : " لزم ورشاً مدة طويلة وأتقن عنه الأداء " [2] ، كما يقول الداودي عن أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني : " حفظ كتاب القراء فلم يشد عنه حرف ، وعني بالنحو أكثر من غيره ، فلما أتقنه أكب على الشعر والمعاني والغريب " [3] .

وكان التشجيع كل التشجيع لمن جاد حفظه وفي ذلك يقول أبو الغنائم الحافظ :"كنت أقرأ القرآن على المشايخ وأنا صبي فقيل لي : أنت أُبَيَ لجودة قراءتي " [4].

وفي نطاق التطبيق كان المحتسب يمتحن الأطباء بما ذكره الطبيب الشهير حنين بن إسحاق (١٩٤هـ) في كتابه المعروف محنة الطبيب ، فمن وجده فيها امتحنه عارفاً وكان خبيراً أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة الناس [5] ، وهنا نجد عدم اشتراط المسلمين المعرفة بالمجال فقط للعمل به وإنما تعداها إلى الجودة والإتقان وأن يصبح بها خبيراً ، مما يؤكد على أن الجودة في العلم أو التطبيق مؤكداً عليها في الفكر الإسلامي وحظيت باهتمام كبير .

---

(١) الجزري : **غاية النهاية في طبقات القراء** ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٢ .
(٣) الداودي : **طبقات المفسرين** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٤٠٢ .
(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص١٢٦١ .
(٥) عبد الرحمن الشيرازي : **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، مرجع سابق ، ص٩٩ .


خاتمة الدراسة

خاتمة الدراسة

إذا كان الفكر التربوي المعاصر يؤكد تأكيدًا كبيرًا على أهمية الجودة الشاملة ، ذلك المفهوم الذي بدأ في المؤسسات الصناعية والحربية ثم سرعان ما انتقل إلى المؤسسات التعليمية وغيرها من مؤسسات الدولة بصفة عامة ؛ فإن الحاجة لتؤكد اليوم إلى ضرورة الرجوع إلى الفكر الإسلامي الأصيل في مصادره وأصوله وفي سير علمائه ومفكريه لبيان نظرتهم إلى ذلك المصطلح والمفهوم الذي عم وشاع كثيرًا في عصورنا الحديثة ، ولذا كان اهتمامنا بالقيام بمثل هذا البحث .

وقد أكد البحث من خلال الصفات السابقة كيف اهتم الإسلام والمسلمون بالجودة، فأظهر المبحث الأول اهتمام العالم المعاصر بالجودة وخاصة في التعليم حتى بدا للمتمعن سباقًا حميمًا بين الدول المتقدمة نحو تحقيق مفهوم الجودة الشاملة وخاصة في التعليم .

كما أكد المبحث الثاني اهتمام الإسلام بمفهوم الجودة فكرًا وتطبيقًا وأنه ليس وليد الفكر الغربي ويجب عدم الانسياق وراء ذلك التوهم ، إذ اهتم القرآن الكريم بالجودة في كثير من آياته ومفاهيمه ، بل عمل على تعميق هذا المفهوم من خلال سرد بعض القصص ليتربى المسلم على الإحساس بالجودة وأهميتها ، وكذلك أكدت السنة النبوية على كثير من مبادئ الجودة الشاملة ، كما أكد عليها المسلمون قديمًا وحديثًا .

وقد أظهر المبحث الثالث بعض معايير وأسس الجودة الشاملة في التعليم الإسلامي مقارنة بالفكر الغربي فيما يخص الفلسفة والتصور الإسلامي والكون والحياة ، وأظهر جودة التعليم الإسلامي الذي أدى في النهاية إلى علماء جمعوا بين العلم والإيمان على حين ساهم الغرب في إيجاد جموع من الأجيال الملحدة التي تسببت في تلوث البيئة وتهديد العالم.

كما أظهر البحث عالمية الأهداف الإسلامية وخيريتها مقارنة بغيرها عند الغرب الذي أكد على تحقيق الرفاهية للمواطن الغربي — وربما دون غيره — حتى ولو كان على حساب الغير ، كما أظهر المبحث نظرة الإسلام للإنسان نظرة محترمة مسئولة فهو حر كريم مسئول ذو إرادة كرمه الله سبحانه وتعالى وخلقه من روح وجسد متفاعلين ومتكاملين وليس إنسانًا شهوانيًا له نفس طبيعية تضعها الظروف والمؤثرات البيئية الخارجية ، وليست نفس طبيعية جاءت نتيجة تطور الأحياء .

كما أوضح المبحث عظم الأخلاق الإسلامية وكيف اتفق عليها المسلمون فلا اختلاف ولا مذاهب شتى في القيم الخلقية على عكس الغرب الذي ذهب فلاسفته ومفكروه مذاهب شتى في تفسيرهم للأخلاق مما أدى إلى اختلافهم في سلوكياتهم وأرائهم.

أما فيما يخص المجتمع فقد أوضح المبحث أن أسباب التغير الاجتماعي توجد في عقول الناس وأفكارهم وأرائهم وليست عملية ديناميكية مادية كما يراها بعض مفكري الغرب.

وفيما يخص المعايير المرتبطة بالطلبة أظهر المبحث تعميق الشعور بالمراقبة والمسئولية لدى المسلم بصفة عامة والطالب المسلم بصفة خاصة ،

إضافة إلى حسن توجيه الطالب إلى العلم الذي يقبله طبعه ويناسبه ، والعمل الجماعي التعاوني ، والتأكد من مصادر المعلومات إضافة إلى الحرص الشديد على الوقت ، وكلها مؤشرات للجودة الشاملة ، ومن هنا يوصى الباحث بمزيد من الدراسات حول التعرف على حاجات الطلبة وميولهم ومن ثم حسن توجيههم إلى التعليم الملائم لهم .

وفيما يخص المعايير المرتبطة بالمعلمين أظهر المبحث أهمية المعلم في العملية التعليمية ، واشتراط الفكر الإسلامي للإتقان ولحذق المادة العلمية إضافة إلى تمتعه بالأخلاق الإسلامية بصفة عامة والأخلاق المرتبطة بالمهنة بصفة خاصة ، ومن ثم يوصى الباحث بحسن إعداد المعلمين واستيعابهم لفلسفة الجودة الشاملة ومبادئها في الإسلام وفي الفكر المعاصر .

وفيما يخص المعايير المرتبطة بالمناهج وطرق التدريس أكد هذا المبحث على أهمية العناية بكل ما في الكون وكذلك بكل ما يتعلق بالإنسان وهما القضيتان الأساسيتان في هذه الحياة كما أظهر الفروق بين المناهج الإسلامية التي تؤكد على إعداد الإنسان القادر على القيام بحق الخلافة عن طريق المساهمة بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض لا التركيز على أهداف جزئية.

كذلك أظهر لذة المنهج عند المسلمين وكيف كان يحدث إشباعًا لدى العقل المسلم ، وهو معنى ما زال حبيس النظرية دون التطبيق في الفكر التربوي المعاصر ، ومن هنا يوصى الباحث في إعادة النظر في مضامين ومحتوى المناهج المعاصرة وأهدافها ومستجداتها بحيث تلبى وتشبع حاجات الطلاب المعاصرين .

وفيما يخص المعايير المرتبطة بجودة المبنى المدرسي أظهر المبحث عناية

المسلمين بالشكل الجمالي للمدرسة ، علاوة على تعدد مؤسسات التربية إذ لم تقتصر مؤسسات التعليم على المسجد فقط، وإنما امتدت لتشمل أماكن عدة كالمنزل والكتاب والفضاء والمدرسة والمكتبة وغيرها مما يعنى اتساع مؤسسات التعليم الإسلامية وهي إحدى دلالات الجودة في التعليم ، ومن ثم يوصى الباحث بتفعيل هذه المؤسسات وألا تترك مسئولية التربية للمدرسة فقط.

وفيما يخص المعايير الخاصة بالمخرجات أظهر المبحث عناية المسلمين بالطالب كمخرج إذ لم يكن يحصل على إجازة إلا بعد إتقانه والشهادة له بالحذق والإتقان مما يؤكد على عناية المسلمين بجودة المخرج التعليمي "الطالب" .

إن مجتمعاتنا المعاصرة في حاجة شديدة إلى تسلم هذه المبادئ والمفاهيم التي تدعو إلى الدقة والجودة سواء في الفكر أو التطبيق ، كما أنها في حاجة إلى الاهتمام بجودة إعداد "المعلم – المتعلم" وجودة المنهج المدرسي من حيث محتواه وإمكانياته وواقعيته وجودته ، ونحن بحاجة إلى طرق تدريس جيدة ذات فعالية كبيرة ووسائل تقويم جيدة تؤدي في النهاية إلى تخريج طالب يتمتع بمواصفات الجودة وكل هذا لا يتأتى بعيدًا عن الاحتكاك بالفكر الإسلامي وتشربه فيما يخص الجودة الشاملة .

ومن هنا نوصي بالآتي :

* تدريس فلسفة الجودة وتعميقها في نفوس طلبة كليات التربية.

* العمل على تحسين جودة مناهجنا المعاصرة لتشبع حاجات الطالب

المسلم المعاصر.

* الاهتمام بالعمل التعاونى في المجال الحرفي و المدرسي.

* العناية بمظهر وجودة المبنى المدرسي لما لـه من آثار نفسية طيبة لدي الطلاب.

* التأكيد على التعليم مـدى الحيـاة والتربيـة المستمرة التـي أمـر بهـا الإسلام.

ولا شك أن كل هـذه التوصيات تـسهم بدرجـة كبـيرة في إحـداث الجودة الشاملة إذا ما أخذنا بها.

* * *

مراجع الدراسة

أولا المراجع العربية

١- ابن أبي أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.

٢- ابن الأخوة "محمد بن محمد بن أحمد القرشي" : **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوى ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت .

٣- ابن جلجل : **طبقات الأطباء والحكماء** ، دار العلم للملايين ، بيروت، د . ت.

٤- ابن جماعة الكنانى: **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

٥- ابن حجر العسقلانى "أحمد بن علي" (٧٧٣-٨٥٢هـ) : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٩ .

٦- ابن خلكان " أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

٧- ابن سعد كاتب الواقدى : **الطبقات الكبرى** ، تحقيق مجموعة من المستشرقين الألمان ، دار الشعب ، القاهرة، د.ت.

٨- ابن سينا : **كتاب السياسة** ، نشرة لويس معلوف ، مجلة المشرق البيروتية ، ١٩٠٦م.

٩- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم : **لسان العرب** ، المطبعة الأميرية باب اللوق ، مصر، ١٣٠٣ هـ.

١٠- أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد الجزرى (ت٨٣٣هـ) : **غاية النهاية في طبقات القراء** ، الطبعة الثالثة، عنى بنشره .ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١١- أبو الفرج الأصفهانى: **الأغانى** ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ.

١٢- أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر : **تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها** ، تحقيق شكرى فيصل وآخرين، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٣- أبو بكر بن عربي : أحكام القرآن ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٣١هـ .

١٤- أبو بكر بن محمد بن عمر بن محمد ، تقى الدين بن قاض شهبة الدمشقى (١٧٩هـ-٨٥١م) : **طبقات الشافعية** ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه حافظ خان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد التركية ، الهند ، ١٣٩هـ/ ١٩٧٨م .

١٥- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى(٥٠٦-٥٦٢هـ)

التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق منيرة ناجى سالم ، دون دار نشر وتاريخ .

١٦- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين : **طبقات الصوفية** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨م .

١٧- أبو عبد الله شمس الدين الذهبي : **تذكرة الحفاظ** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان د.ت.

١٨- أبو عبد الله شمس الدين الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق وتخريج شعيب الأرناؤوط وآخرين ، الطبعة العاشرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٩- أبو عثمان عمرو بن بحر : **البيان والتبيين** ، تحقيق فوزي عطوى ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ.

٢٠- أبو نعيم الأصبهاني : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ .

٢١- أحمد إبراهيم أحمد : **الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ م .

٢٢- أحمد إسماعيل حجى : **الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية** ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .

٢٣- أحمد المهدي عبد الحليم : **"البحث التربوي ، الأزمة والمخرج"** ، الدورة الأولى لإعداد الباحثين في التربية الإسلامية المقامة بفندق الأمان ، القاهرة ، يناير ، ١٩٩٥م .

٢٤- -أحمد بن على القلقشندى : **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، تحقيق يوسف على طويل ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧م.

٢٥- أحمد بن محمد السلفي: **معجم السفر** ، تحقيق عبد الله عمر البارودى، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، د.ت.

٢٦- أحمد سيد خليل ، إبراهيم عباس الزهيرى: **إدارة الجودة الشاملة في التعليم "خبرات أجنبية وإمكان الاستفادة منها في مصر** ، المؤتمر السنوى التاسع" الإدارة التعليمية في الوطن العربي في عصر المعلومات، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية ، القاهرة ، ٢-٤ ذو القعدة ١٤٢١هـ/ ٢٧-٢٩ ، يناير ٢٠٠١م .

٢٧- أحمد شلبي : **التربية الإسلامية "نظمها - فلسفتها - تاريخها"** ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧م.

٢٨- أحمد عابد الطنطاوى ، هدى سعد السيد: **التربية المقارنة والإدارة التعليمية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

٢٩- -أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية في الإسلام** ، "دراسات في التربية" ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٣م .

٣٠- الإمام ابن كثير "إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي" : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

٣١- الإمام ابن كثير "الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى" : **تفسير القرآن العظيم** ، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت.

٣٢- الإمام أحمد : **مسند أحمد** ، مؤسسة قرطبة القاهرة ، ١٤١٤هـ.

٣٣- الإمام البخاري : **صحيح البخاري** ، دار ابن كثير/ اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧-١٩٨٧م .

٣٤- الإمام القرطبى " أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبى" : **الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم أطفيش ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣٥- الإمام مسلم "أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى" : **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

٣٦- الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى (ت٩٤٥هـ) : **طبقات المفسرين** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

٣٧- الخطيب البغدادى "أبو بكر أحمد بن على بن ثابت" **اقتضاء العلم العمل** ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد ناصر الألبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٣٩٧هـ .

٣٨- القاضى أبو الحسين بن محمد بن أبى يعلى : **طبقات الحنابلة** ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

٣٩- جاك ديلور وآخرون : **التعليم ذلك الكنز** ، تقرير اللجنة الدولية للتربية للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة جابر عبد الحميد جابر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٠- جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى : **النجوم الزاهرة في**

ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت .

٤١- جمال محمد الهنيدى : **الإعداد التربوي للطفل عند المسلمين** ، مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

٤٢- جمال محمد الهنيدى : **الإعداد التربوي للفقيه عند المسلمين** ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٢م .

٤٣- جمال محمد الهنيدى : **التربية المهنية والحرفية في الإسلام** ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة "ج.م.ع"، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٤- جمال محمد الهنيدي: **تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى من الهجرة**، دار الوفاء ، المنصورة "ج. م. ع"، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٤٥- جيفرى د . دهارتى : **تطوير نظم الجودة في التربية** ، ترجمة عدنان الأحمد وآخرون ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩م .

٤٦- حاجى خليفة : **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، د . ت.

٤٧- حافظ فرج أحمد ، محمد صبرى حافظ : **إدارة المؤسسات التربوية** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

٤٨- حسان محمد حسان : **رؤية إنسانية لمفهوم ضبط جودة التعليم** ، "دراسات تربوية" ، ج ٦٥ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٤٩- رشدي أحمد طعيمة : **"الجودة والتميز بين الإدارة والمنهج"** ، دراسة في الأدبيات" منشورة ضمن الجودة الشاملة في التعليم ، تأليف رشدي طعيمة وآخرين ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الأردن ، عمان ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٠- رشدي طعيمة : **الأسس والمفهومات** ، منشورة ضمن كتاب الجودة الشاملة في التعليم ، المرجع السابق .

٥١- سعد المرصفي : **العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية** ، الطبعة الأولى، دار البحوث العلمية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٢- سعيد إسماعيل على : **العمل في الفكر التربوي الإسلامي "دراسات في التربية الإسلامية"** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

٥٣- شوقى عبده الساهى : **المال وطرق استثماره في الإسلام** ، الطبعة الثانية، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

٥٤- صبرية مسلم سليم اليحيوى : **تطبيق إدارة الجودة الشاملة لتطوير التعليم العام للبنات في المملكة العربية السعودية** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية بالمدينة المنورة ، قسم تخطيط وإدارة تعليمية ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م .

٥٥- صديق حسن القنوجى (١٢٤٨ – ١٣٠٧هـ) : **أبجد العلوم** ، تحقيق عبد الجبار ذكار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٧٨م .

٥٦- صلاح الدين المتبولي : **التربية ومشكلات المجتمع** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية "ج.م.ع" ، ٢٠٠٣م .

٥٧- طاش كبرى زاده : **الشقائق النعمانية "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم"** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ.

٥٨- -طاش كبرى زاده: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

٥٩- عبد الجواد سيد بكر : **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

٦٠- عبد الحى بن أحمد الدمشقى : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، د.ت.

٦١- عبد الرءوف المناوى : **فيض القدير** ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، ١٣٥٦هـ.

٦٢- عبد الرازق حسين : **الأطفال في التراث العربي** ، بحوث في ثقافة الطفل المسلم (٣) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر (٣) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م.

٦٣- عبد الرحمن الشيرازي : **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، تحقيق السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ،

٦٤- عبد الرحمن النحلاوى : **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع** ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٥- عبد الرحمن النقيب : " **مفهوم الجودة الشاملة الأصول الإسلامية والغربية**" ، منشورة ضمن رشدي طعيمة: الجودة الشاملة في التعليم ، مرجع سابق.

٦٦- عبد الرحمن النقيب : **مشروع منهجية البحث في التربية الإسلامية "رواية مغايرة"** جامعة المنصورة الإدارة العامة للدراسات العليا والبحوث والعلاقات الثقافية ، إدارة البحوث ، ١٩٩٦م .

٦٧- عبد الرحمن النقيب : **منهج المعرفة في القرآن والسنة ، دارسة تحليلية مقارنة** ، بحوث في التربية الإسلامية ، الكتاب الخامس من سلسلة "أفاق البحث العلمي في التربية الإسلامية " ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

٦٨- عبد الرحمن بن الجوزى : **صفوة الصفوة** ، ط٢ ، تحقيق محمد رواس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٦٩- عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث** ، تحقيق البخاري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣ - ١٩٧٢م .

٧٠- عبد الودود مكرم: **العلاقة بين التربية الإسلامية والتنمية الحضارية في المجتمع الإنساني "دراسة نظرية"** المؤتمر العلمي السنوي العاشر لقسم أصول التربية "التربية الدينية وبناء الإنسان المصري" المنعقد في الفترة من ٢١-٢٢ ديسمبر ، ١٩٩٣م ، كلية التربية ، جامعة المنصورة.

٧١- علي أحمد مدكور : **نظريات المناهج التربوية** ، دار الفكر العربي ،

القاهرة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧٢- على عبد الواحد وافي : **حقوق الإنسان في الإسلام** ، الطبعة الخامسة ، مطبعة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٨-١٩٧٩ م .

٧٣- علي بن أبي بكر الهيثمي : **مجمع الزوائد** ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

٧٤- فاطمة محمد السيد : **تطوير إدارة التعليم الثانوى العام في مصر في ضوء بعض الاتجاهات المعاصرة** ، صحيفة التربية ، العدد - أكتوبر ، ١٩٩٥ .

٧٥- قسم الإدارة والتخطيط والدراسات المقارنة : **الإدارة التعليمية والمدرسية أصولها وتطبيقاتها** ، كلية التربية، جامعة الأزهر ، ٢٠٠٢م.

٧٦- كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة : **بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار** ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م.

٧٧- ماجد عرسان الكيلانى : **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية** ، بيروت ، دار ابن كثير ، ١٩٨٥م .

٧٨- مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** ، دار إحياء التراث العربى بالتعاون مع المكتبة العلمية بطهران ، القاهرة ، د . ت .

٧٩- محسن المهدى السعيد : **ضمان الجودة والاعتماد في التجربة المصرية في التعليم العالي**، منشورة ضمن رشدى طعيمة وآخرين : الجودة الشاملة في التعليم ، مرجع سابق .

٨٠- محمد سليمان البنداري ، مصطفى أحمد عبد الباقى : **ضمان الجودة والاعتماد ، التجربة العمانية في التعليم العالي** منشورة ضمن رشدى طعيمة وآخرين: **الجودة الشاملة في التعليم** ، مرجع سابق.

٨١- محمد عبد الرءوف المناوى (٩٥٢-١٠٣١م) : **التعاريف** ، تحقيق محمد رضوان الراية دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ.

٨٢- محمد عبد العظيم الزرقانى : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦م .

٨٣- محمد عبد الفتاح شاهين ، إسماعيل شندى : **"جودة التعليم من منظور إسلامي"** ، دراسة علمية أعدت لمؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني الذي عقده في برنامج التربية ودائرة ضبط النوعية في جامعة القدس المفتوحة في مدينة رام الله في الفترة من ٣- ٥/ ٧/ ٢٠٠٤ .

٨٤- محمد كمال طه الحسيني : **الاتجاه البولتكنيكى في التربية الإسلامية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٨٤م .

٨٥- محمد يوسف موسى : **الأخلاق في القرآن** ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٨٦- محمود عباس عابدين : **الجودة واقتصادياتها في التربية** ، دراسة نقدية ، دراسات تربوية ، ج ٤٤ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٨٧- محمود عصام الميداني : **مهارات الإدارة المدرسية والقيادة** "مجلة التربية" الدوحة ، قطر ، العدد (١٠٤) ، السنة (٢٢).

٨٨- مقداد ياالجن : **منهاج الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث** ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٨٩- ملكة أبيض : **التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠م.

* * *

ثانيا المراجع الأجنبية

(1) Apdul Rahman Salih Abdullah : **Educational Theory Aqur'anic outlook** , Umm AlQura University, Makkah Almukaramah, Faculty of Education, Educational Psychological Research center .

(2) Barry R. Sadler :**An Examination Of Total Quality Management as Perceived by Selected Alabama Principals**,Ed.D. Dissertation, The universityOf Alabama,Tuscaloosa,1996.

(3) Chery.l. f. : **Puplic Research Universities Active participan in "Virtual Universities "as Information Technology Affects Nearly Every Area of campus**

see httl : " www.nasulgc.org/vir_lib.com p1

(4) D . A , Garven : **Managing Quality** , New yourk , press, 1988

(5) Resnick David : **Introduction, Community, College life and Civic Engagement Social Capital, public Goods and Higher Education conclusion**

see : http: ||www.informatik.uni.trier. .de/~ley/db/imdices/a-tree/r/resnick david.html.

(6) Ron Fitzgerald,D. : Total Quality Management In Education, "2005", see; Http : ||w w w. : Snarttaching. Org\ Topics\17 T. Q. M html

(7) Lankard ,Bettina .A : **Total Quality Management , Application In Vocational Education** , EAIC , Clearinghouse On adult Career And Vocational Education ,Columbus OH., see : Http : ||w w w . : Total Quality Management Application In Vocational Education _ ERIC Digest.htm

(8) Marmar Mukhopadhyay : **Total Quality Management In Education, National Institute Of Education planning and Administration,** New Delhi,Reviewed by Dr. Ramesh C . Sharma Indira Gandhi National Open university .India, "2001'

See ; http:|\\book. Google.com.\ books ? id=crh It10znuc&pgA17.

(9) M.A. zaki Badawi: **Traditional Islamic Education its Aims and Purposes in The Present day**, Hodder and Stoughton, King Abdel Aziz university , □eddah, 1997

(10) Micneal Aibbons : **Virtual Universities** , No . 14 & 15,1998 ,

See ; http: \\ www.Iota.org/faee 98/virtnalu.ntml.

(11) Mohamed autb **: The Role of Religion in Education,** Hodder and Stoughton, King Abdupel Aziz University , Jeddah, 1979 .

(12) Nor `Azzah Kamri, Khairiah Salwa Hj. Mokhtar **: THE ROLE OF ISLAMIC ETHICS IN ORGANIZATIONS : THE EXPERIENCE OF MALAYSIA** , paper presented at The 6 th Aseean Inter- University Seminars On Social Development 14-16 May,2004, University Sains Malaysia.,

(13) Navaratnam K. K. & O'connor . R : **Quality Assurance in Vocational Education Meeting the Needs of The Mineties Vocational Aspect of Education**.1993 .

(14) Sugata Mitra : **Messuges and Lessons Learned** , See : WWW.Unesco.Org /Iiep/Virtual university/Home.Php.

(15) Tod Newcombe/Features Editor : **Virtual Universities Revolutionizing Education or just Dgital Diploma Mills,** see : ; http: \\ www.gov.tech.not/magazine/gt/1999/aug/.

(16) Ziarati Raza : **Developing A Quality Criteria For Applications In The Higher Education Sector In Turkey** ,U. F. L. University, see :

Http : ||w w w . : dogus edu. Tr. dogustru\Journal\Sayi_z\moo_023pdf.

* * *



الفهرس

* * *